

الأمانة العامة
المقدسة
الوارث
توزع مجاناً
٣٩
مجلة شهرية دينية ثقافية تصدر عن
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في العتبة الحسينية المقدسة
ربيع الثاني ١٤٣٣هـ
آذار ٢٠١٢م
السلام عليك يا أبا عبد الله الحسين



الإشراف العام
الشيخ علي الفتلاوي

رئيس التحرير
السيد نبيل الحسني

مدير التحرير
الشيخ وسام البلداوي

هيئة التحرير
محمد رزاق السعدي
السيد حسين الزاملي

التدقيق اللغوي
خالد جواد العلواني

التصميم والإخراج الفني
السيد علي ماميثة
أحمد محسن المؤذن

تنفيذ
مطبعة دار الضياء



الوارث
إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩:١٢١١

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email:info@imamhussain-lib.org

كلمة العدد

عند تتبعي الأحداث التي حدثت في شهر ربيع الثاني وجدت ثلاثة أحداث قد وقعت في هذا الشهر الشريف وهذه الأحداث الثلاثة تشير كلها إلى الإمام الحسين عليه السلام وهي كما يلي:

الحدث الأول: في اليوم الأول من ربيع الثاني سنة (٦٥ هـ) خرج التوابون بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي الذي يُعد من وجوه أصحاب الإمام المظلوم الحسين بن علي عليهما السلام للمطالبة بدم الشهيد في كربلاء، وقد ذكر التأريخ قصتهم المليئة بالعبر والمواعظ.

الحدث الثاني: في اليوم الخامس عشر من ربيع الثاني سنة (٦٦ هـ) ظهر المختار بن أبي عبيدة الثقفي بالكوفة فبايعه الناس على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والطلب بدم المظلوم الشهيد في كربلاء، ولقد تتبع المختار قتلة الإمام الحسين عليه السلام فقتل منهم الكثير فيهم قائد الجيش الأموي عمر بن سعد لعنه الله كما انه بعث برأس عبيد الله بن زياد لعنه الله ورؤوس غيره ممن كان معه ضد الإمام الحسين عليه السلام إلى الإمام علي بن الحسين عليهما السلام.

الحدث الثالث: في اليوم الرابع والعشرين من ربيع الثاني سنة (٦٤ هـ) وبعد أربعين يوماً من هلاك يزيد بن معاوية لعنه الله خلع معاوية بن يزيد نفسه عن الخلافة بعد أن تولاها يوم موت أبيه يزيد وذلك في يوم الرابع عشر من شهر ربيع الأول من نفس السنة، وكان يقول في خطبة له:

أيها الناس ما أنا براغب في التأمر عليكم، ولا بالآمن لكراهتكم، بل بلينا بكم وبليتم بنا، ألا إن جدي معاوية نازع الأمر من كان أولى بالأمر منه في قدمه وسابقته علي بن أبي طالب، فركب جدي منه ما تعلمون، وركبتم معه ما لا تجهلون، حتى صار رهين عمله، وضجيع حضرته، تجاوز الله عنه، ثم صار الأمر إلى أبي، ولقد كان خليقاً أن لا يركب سننه، إذ كان غير خليق بالخلافة، فركب ردعه واستحسن خطأه، فقلّت مدته وانقطع آثاره، وخمدت ناره، ولقد أنسانا الحزن به الحزن عليه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فمن خلال التأمل في هذه الأحداث الثلاثة نجد واضحاً الانتصار لدم المظلوم الإمام الحسين عليه السلام والذي سيتحقق بتمامه عند ظهور صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

المشرف العام





الإمام الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء

الحلقة الخامسة

أعزائي القراء سنتناول في هذه الحلقة بقية المنازل التي نزل بها الإمام الحسين عليه السلام مع عياله وما صاحبه فيها من أحداث.

فسسقيل: ورحل من موضعه المسمّى بالبيضة إلى العذيب، والحرّ يسايره، فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم، يُجنبون فرساً لنافع بن هلال، ومعهم دليلهم الطرماح بن عدي على فرسه،فلما انتهوا إلى الحسين عليه السلام انشدوه هذه الأبيات:

يا ناقتي لا تذعري من زجري
وشمّري قبل طلوع الفجر
بخير ركبان وخير سفر
حتّى تَحُلّي بكريم النجر
الماجد الحرّرحيب الصدر
أتى به الله لخير أمر
ثمّة أبقاه بقاء الدهر

فقال الحسين عليه السلام:
(أما واللّه إنّي لأرْجُو أنْ يَكُونَ خَيْراً ما أرادَ اللّه بِنا قُتِلنا أمْ ظَفَرْنا!).

وأقبل الحرّ بن يزيد فقال (للإمام عليه السلام): إنّ هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا ممن أقبل معك، وأنا حابسهم أو رادّهم.

فقال له الحسين عليه السلام:
(لأمْنَعَنَّهُمْ مِمّا أمْنَعُ مِنْهُ نَفْسي، إنَّما هؤُلاءِ أنْصاري وَأعْواني، وَقَدْ كُنْتَ أعْطَيْتَني أنْ لا تَعَرَّضَ لي بِشَيءٍ حَتّى يَأتِيَكَ كِتابٌ مِنْ ابْنِ زِيادٍ).
فقال الحرّ: أجل، لكن لم يأتوا معك.
قال الحسين عليه السلام:
(هُمْ أصْحابي وَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَن جاءَ مَعي، فَإنْ تَمَّمْتَ عَلَيَّ ما كانَ بَيْني وَبَيْنَكَ وَإلاّ ناجَزْتُكَ)!
فكفّ عنهم الحرّ.
ثم قال لهم الإمام عليه السلام:
(أخْبِرُوني خَبَرَ النّاسِ وَراءَكُمْ؟).
فقال له مجمّع بن عبد الله العائذي - وهو أحد النفر الأربعة الذين جاؤوه: أمّا أشراف النّاس فقد أعظمت رشوتهم ومُلئت غرائرهم، يُستمال ودّهم ويُستخلص به نصيحتهم، فهم ألْبٌ واحد عليك!
وأمّا سائر الناس بعد، فإنّ أفئدتهم تهوي إليك وسيوفهم غداً مشهورة عليك!
قال:
(أخْبِرُوني فَهَلْ لَكُمْ بِرَسُولي إلَيْكُمْ؟).
قالوا: مَن هو؟
قال - عليه السلام -:
(قَيْسُ بْنُ مُسَهَّر الصَّيْداوي).
قالوا: نعم، أخذه الحُصين بن تميم فبعث به إلى ابن زياد، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك، فصلى عليك وعلى أبيك، ولعن ابن زياد وأباه، ودعا إلى نصرتك وأخبرهم بقدومك، فأمر به ابن زياد فألقي من طمّار القصر!
فترقرقت عينا الإمام عليه السلام ولم يملك دمعه، ثم قال:
((...فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)).[1]
اللّهُمَّ اجْعَلْ لَنا وَلَهُمُ الْجَنَّةَ نُزُلاً، وَاجْمَعْ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ في مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِكَ وَرَغائِبِ مَذْخُور ثَوابِكَ).
ثمّ إنّ الطرماح بن عدي دنا من الحسين عليه السلام فقال له: إنّي والله لأنظر فما أرى معك أحداً، ولو لم يقاتلك إلاّ هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم، وقد

رأيت - قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم - ظهر الكوفة، وفيه من الناس ما لم تَر عيناي - في صعيد واحد - جمعاً أكثر منه، فسألت عنهم، فقيل: اجتمعوا ليُعرضوا ثم يسرّحون إلى الحسين، فأنشدك إن قدرت على أن لا تقدم عليهم شبراً إلاّ فعلت! فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتى أنزلك مناع جبلنا الذي يدعى (أجأ) فأسير معك حتى أنزلك (القرية).

فقال له الحسين عليه السلام:

(جَزاكَ اللهُ وَقَوْمَكَ خَيْراً! إنّه قَدْ كانَ بَيْنَنا وَبَيْنَ هؤُلاءِ الْقَوْمِ قَوْلٌ لَسنا نَقْدرُ مَعَهُ عَلَى الانْصراف، وَلا نَدْري عَلامَ تَنْصَرِفُ بِناوَبِهم الأُمُورُ في عاقِبَةٍ)!

قَالَ أبو مخنف: فحدّثني جميل بن مَرثد، قال: حدثني الطرماح بن عدي، قال: فودّعته وقلت له دفع الله عنك شر الجن والإنس، إني قد امرت لأهلي من الكوفة ميرة، ومعي نفقة لهم، فآتيهم فأضع ذلك فيهم، ثمّ أقبل إليك إن شاء الله، فإن ألحقك فوالله لأكونن من أنصارك.

قال عليه السلام:

(فَإنْ كُنْتَ فاعْلاً فَعَجِّلْ رَحِمَكَ اللهُ).

قال: فعلمتُ أنه مستوحشٌ إلى الرجال حتى يسألني التعجيل.

قال: فلما بلغت أهلي وضعت عندهم ما يصلحهم، أوصيت، فأخذ أهلي يقولون: إنك لتصنع مَرّتَك هذه شيئاً ما كنت تصنعه قبل اليوم فأخبرتُهم بما أريد، وأقبلتُ في طريق بني ثُعَل حتى إذا دنوتُ من عَذَيب الهجانات، استقبلني سَماعة بن بدر فنعاه إليَّ، فرجعت.

وقال ابن نما: رويت أنّ الطرماح بن حكم قال: لقيتُ حسيناً وقد امترت لأهلي ميرة، فقلت: اذكرك في نفسك لا يغرّنك أهل الكوفة، فو الله لئن دخلتها لتقتلنّ، وإنّي لأخاف أن لا تصل إليها، فإن كنت مجمعاً على الحرب فانزل أجأ فإنه جبل منيع، والله ما نالنا فيه ذلّ قطّ، وعشيرتي يرون جميعاً نصرك، فهم يمنعونك ما أقمت فيهم.

فقال عليه السلام:

(إنَّ بَيْني وَبَيْنَ الْقَوْمِ مَوْعِداً أكْرَهُ أنْ أخْلفَهُمْ، فَإنْ يَدْفَعِ اللهُ عَنّا فَقَديماً ما أنْعَمَ عَلَيْنا وَكَفى، وَإنْ يَكُنْ ما لابُدَّ مِنْهُ فَفَوْزٌ وَشَهادَةٌ إنْ شاءَ اللهُ).

ثم حملت الميرة إلى أهلي وأوصيتهم بأمورهم، وخرجت أريد الحسين فلقيني سماعة بن زيد النبهاني فأخبرني بقتله، فرجعت.

ثم سار الحسين عليه السلام والحرّ يسير إلى جنبه، فانتهى بهم إلى أقساس مالك، ومنها سار إلى الرّهيمة، وبعض يقولون: إنه عليه السلام لاقى عمرو بن لوذان في هذا المكان في منزل العقبة، وسار الحسين عليه السلام من الرّهيمة وواصل سيره إلى قصر مقاتل.

قصر مقاتل

فإذا هو بفسطاط مضروب، ورمح منصوب، وسيف معلّق، وفرس واقف على مذود، فقال الحسين عليه السلام:

(لِمَنْ هذَا الْفُسطاطُ)؟

فقيل: لرجل يقال له عبيد الله بن الحر الجعفي.

قال: فأرسل الحسين عليه السلام برجل من أصحابه يقال له الحجّاج بن مسروق الجعفي، فأقبل حتى دخل عليه في فسطاطه فسلّم عليه فرد عليه السّلام ثم قال: ما وراءك؟

فقال الحجّاج: والله! ورائي يا ابن الحرّ! والله قد أهدى الله إليك كرامة إن قبلتها!

قال: وما ذاك!

فقال: هذا الحسين بن علي عليهما السلام يدعوك إلى نصرته، فإن قاتلت بين يديه أجرت، وإن متّ فإنك استشهدت!

فقال له عبيد الله: والله ما خرجت من الكوفة إلاّ مخافة أن يدخلها الحسين بن علي وأنا فيها، فلا أنصره لأنّه ليس في الكوفة شيعة ولا أنصار إلاّ وقد مالوا إلى الدنيا إلاّ مَن عصم الله منهم، فارجع إليه وخبّره بذاك.

فأقبل الحجّاج إلى الحسين عليه السلام فخبّره بذلك، فقام الحسين عليه السلام، ثم صار إليه في جماعة من إخوانه، فلما دخل وسلّم وثب عبيد الله بن الحر من صدر المجلس، وجلس الحسين فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

(أمّا بَعْدُ، يا ابْنَ الحُرِّ! فإنَّ مصْرَكُمْ هذِهِ كَتَبُوا إلَيَّ وَخَبَّرُوني أنَّهُمْ مُجْتَمِعُونَ عَلى نُصْرَتي، وَأنْ يَقُومُوا دُوني وَيُقاتلُوا عَدُوّي، وَأنَّهُمْ سَألُوني الْقُدُومَ عَلَيْهِمْ، فَقَدمْتُ، وَلَسْتُ أدْري الْقَوْمَ عَلى ما زَعَمُوا، لأنَّهُمْ قَدْ أعانُوا عَلى قَتْلِ ابْنِ عَمّي مُسْلِم بْنِ عَقيل رَحِمَهُ اللهُ وَشيعَتِه، وَأجْمَعُوا عَلَى ابْنِ مَرْجانَةَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زيادٍ يُبايِعُني لِيَزيدَ ابْنِ مُعاوِيَةَ، وَأنْتَ يا ابْنَ الحُرِّ فاعْلَمْ أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلّ مُؤاخذُكَ بما كَسَبْتَ وَأسْلَفْتَ مِنَ الذُّنوبِ في الأيّامِ الخالِيَةِ، وَأنا أدْعُوكَ في وَقْتي هذا إلى تَوْبَةٍ تُغْسَلُ بها ما عَلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ، وأدْعُوكَ إلى نُصْرَتِنا أهْلَ الْبَيْتِ، فَإنْ أعْطَيْنا حَقَّنا حَمِدْنا اللهَ عَلى ذلِكَ وَقَبِلْناهُ، وَإنْ مُنِعْنا حَقَّنا وَرُكِبْنا بِالظُّلْمِ كُنْتَ مِنْ أعْواني عَلى طَلَبِ الْحَقِّ).

فقال عبيد الله بن الحرّ: والله يا ابن بنت رسول الله! لو كان لك بالكوفة أعوان يقاتلون معك لكنت أنا أشدّهم على عدوّك، ولكنّي رأيت شيعتك بالكوفة وقد لزموا منازلهم خوفاً من بني أمية، ومن سيوفهم، فأنشدك بالله أن تطلب منّي هذه المنزلة، وأنا أواسيك بكلّ ما أقدر عليه وهذه فرسي ملجمة، والله ما طلبت عليها شيئاً إلاّ أذقته حياض الموت، ولا طلبت وأنا عليها فلحقت، وخذ سيفي هذا فو الله ما ضربت به إلاّ قطعت.

فقال له الحسين عليه السلام:

(يَا ابْنَ الحُرِّ! ما جِئْناكَ لِفَرَسِكَ وَسَيْفِكَ، إنَّما أتَيْناكَ لِنَسْألَكَ النُّصْرَةَ، فَإنْ كُنْتَ قَدْ بَخِلْتَ عَلَيْنا بِنَفْسِكَ فَلا حاجَةَ لَنا في شَيءٍ مِنْ مالِكَ، وَلَمْ أكُنْ بِالّذي أتَّخِذُ الْمُضِلّينَ عَضُداً، لأنّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه وَسَلّم وَهُوَ يَقولُ:

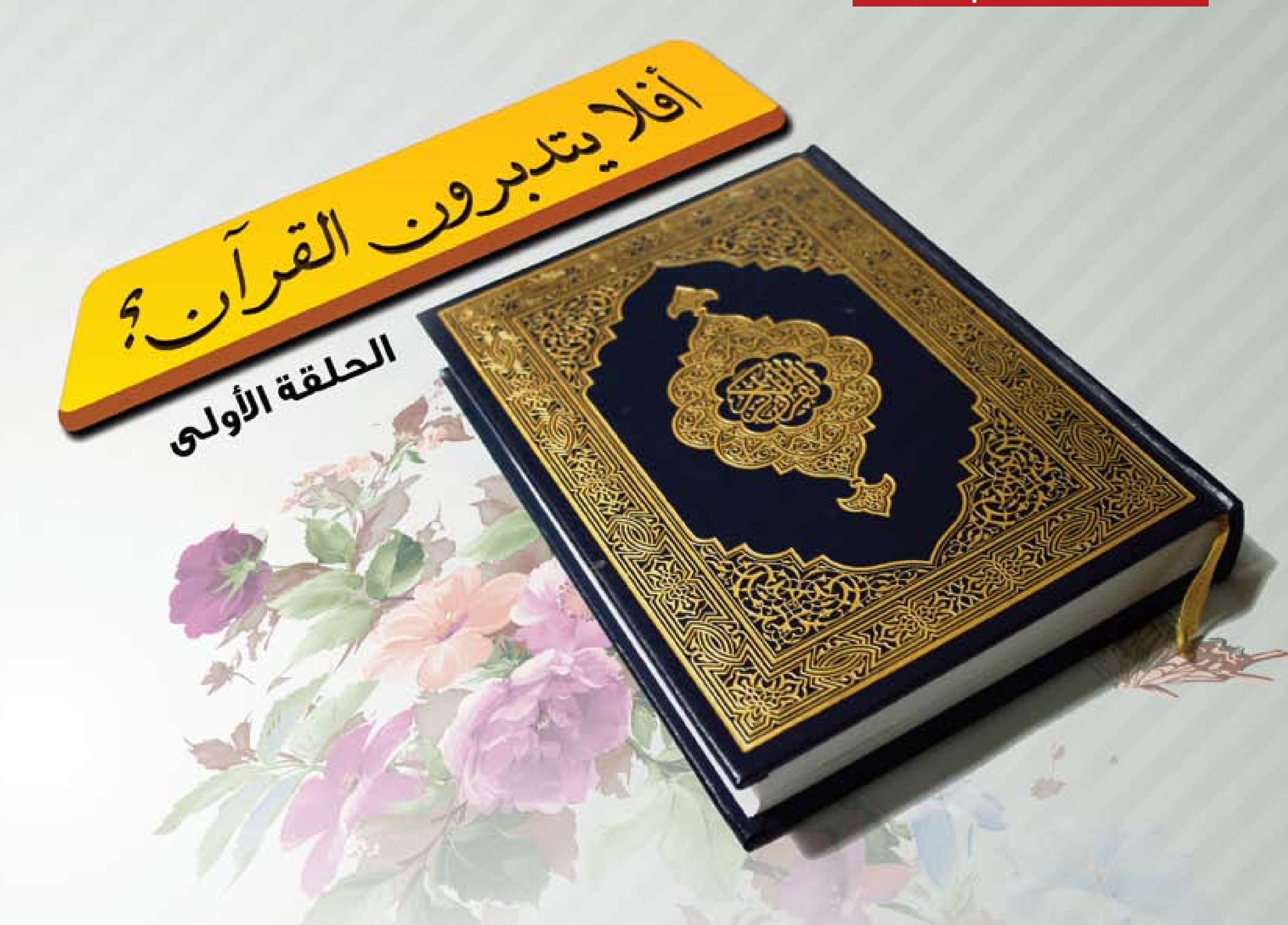
(من سمع داعية أهل بيتي، ولم ينصرهم على حقهم إلا أكبه الله على وجهه في النار).

ثم سار الحسين عليه السلام من عنده ورجع إلى رحله.[٢]

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٣٦١ - ٣٦٧.



أفلا يتدبرون القرآن؟

الحلقة الأولى

القرآن حروف بلا معان!

في طليعة المشاكل التي تعاني منها قطاعات واسعة من أمتنا في تعاملها مع القرآن: (القراءة السطحية) لهذا الكتاب المجيد.

إنها تتعامل مع القرآن كحروف وكلمات ميتة، وليس كمفاهيم تنبض بالحركة والحياة!

إنها تستمع إلى القرآن وتتلو آياته ولكن: كتمائم سحرية، وطلسمات غيبية، لا يكاد أحد يفهم منها شيئاً!

وبذلك أصبح القرآن: حروفاً بلا معانٍ، وكلمات بلا مفاهيم!

والسؤال هو:

كيف أصبحت هذه القطاعات هكذا؟ وما هي العوامل الكامنة وراء ذلك؟

والجواب:

١ ـ تشوش الرؤية

فقد ترسخت في أذهان الكثيرين فكرة (تعالي القرآن عن الإدراك البشري)، إنه كتاب الله، وهل تستطيع ذرة تافهة في الوجود ـ اسمها: الإنسان ـ أن تصل إلى تلك القمّة الرّفيعة؟!

ولقد تطرف البعض في هذا الاتجاه حتى قال:

(إن القرآن كله متشابه بالنسبة إلينا، ولا يجوز لنا أن نتكلم في محكمه)!

وعندما سأله بعض الحاضرين:

ـ ما تقول في:

((قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ))[1].

هل هذه ـ أيضاً ـ تعتبرها آية متشابهة؟!

أجاب:

بأن الأحد ما معناه؟ وما مبدأ اشتقاقه؟ وما الفرق بينه وبين الواحد، وأطال الكلام في مثل هذا!

وهذا يعني أن قوله تعالى:

((إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ...))[2].

أو قوله:

((وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ...))[3].

أو قوله تعالى:

((وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ...))[4].

وأمثال هذه الآيات هي آيات متشابهة... لا يحق لأحد ـ أي أحد ـ أن يحاول فهمها، أو أن يتكلم فيها؟

٢ ـ وقد لعب عدم الاستعداد النفسي ـ للتعمق الفكري، دوراً ما في هذا المجال

بالنسبة ـ إلى بعض الأجيال المعاصرة.

إنها تبحث عن (سندويشة) طازجة تستطيع أن تتناولها بسهولة، أما (القضايا الفكرية المعمقة) فهي لاتود كثيراً البحث فيها، إنه عصر السرعة، أليس كذلك؟!

ولكن: فات لهؤلاء أن السطحية في الرؤية والتفكير قد ترضي شهوات الإنسان، ولكنها كثيراً ما توقعه في أخطاء قاتلة.

وفاتهم كذلك: أن الملاحظة الدقيقة والتفكير العميق، هما الخطوة الأولى التي لا غنى عنها في أية مسيرة حضارية.

ولذلك نجد أن عالماً قد يقضي من عمره عشرين عاماً أو أكثر وهو يراقب أمراً قد يبدو لنا تافهاً، ولكنه يخرج من ذلك بنتائج هامة وكبيرة.

٣ ـ ولا ننسى هنا الأثر الذي تركه ابتعاد الجيل المعاصر عن اللغة العربية الأصيلة.

فقد ساهم هذا العامل في عدم فهم هذا الجيل لبعض الآيات القرآنية، لأنه لم يعرف المدلول الحقيقي لبعض (الكلمات والجمل القرآنية)، مما جعله يجهل معنى الآيات التي تضمنت تلك الكلمات والجمل.

هل يجوز لنا التدبر في القرآن؟

لكي نجيب على هذا السؤال، لابد أن نعود إلى مصادر الإسلام ـ النقية، ونستخرج منها الإجابة الحاسمة.

عندما نلقي نظرة سريعة على القرآن الكريم، نجد فيه دعوة صريحة إلى التدبر في آياته.

١ ـ في البداية يؤكد القرآن أن الهدف من نزوله هو أن يتدبر الناس فيه، فيقول: ((كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ...)).[٥]

ذلك لأن التدبر هو الطريق الطبيعي للعمل بما جاء في القرآن الكريم، إذن: فمن الطبيعي أن يعتبر (التدبر) الهدف المبدئي لنزول القرآن.

٢ ـ وفي سبيل الوصول إلى هذه الغاية، جعل الله القرآن كتاباً ميسراً للفهم، وفي هذا المجال يقول القرآن:

((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)).[٦]

ولأهمية هذا الأمر يكرر القرآن هذه الآية الكريمة في سورة (القمر) أربع مرات.

ويقول ـ أيضاً ـ:

(فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).[٧]

ويقول:

((فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا)).[٨]

٣ ـ والقرآن ليس ـ فقط ـ يدعو الناس إلى التدبر في آياته، وإنما يطلب منهم أن يمارسوا التدبر العميق أيضاً، كما نفهم ذلك من قوله سبحانه:

((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا)).[٩]

قال العلامة الطباطبائي في الميزان:

(الآية تحضيض في صورة الاستفهام، والتدبر هو أخذ الشيء بعد الشيء، وهو في مورد الآية التأمل في الآية عقيب الآية، أو التأمل بعد التأمل في الآية (الواحدة) لكن: لما كان الغرض: بيان أن القرآن لا اختلاف فيه، وذلك إنما يكون بين أزيد من آية واحدة كان المعنى الأول، أعني: التأمل في الآية عقيب الآية هو العمدة، وإن كان ذلك لا ينفي المعنى الثاني أيضاً.

(فالمراد ترغيبهم أن يتدبروا في الآيات القرآنية، ويراجعوا في كل حكم نازل، أو حكمة مبيّنة أو قصة أو عظة أو غير ذلك في جميع الآيات المرتبطة به مما نزلت مكّيها ومدنيّها، ومحكمها ومتشابهها، ويضموا البعض إلى البعض حتى يظهر لهم أنه لا اختلاف بينها.

(فالآيات يصدّق قديمها حديثها، ويشهد بعضها على بعض، من غير أن يكون بينها أي اختلاف مفروض: لا اختلاف التناقض بأن ينفي بعضها بعضاً أو يتدافعا، ولا اختلاف التفاوت بأن تتفاوت الآيتان من حيث تشابه البيان، أو متانة المعاني والمقاصد.

(فارتفاع هذه الاختلافات من القرآن يهديهم إلى أنه كتاب منزل من الله، وليس من عند غيره...).

وإذا لاحظنا:

أ: أن هذه الآية نزلت في (المنافقين) و(المتمردين) ـ كما يظهر من الآيات السابقة.

ب: أنها تدعو هؤلاء إلى التدبر في القرآن، حتى يطمئنوا بأنه من عند الله، ويزول بذلك نفاقهم، وترددهم.

ج: إن كشف عدم (الاختلاف) وعدم (التناقض) بين الآيات القرآنية المختلفة يحتاج إلى تدبر عميق، وتأمل كبير.

لو لاحظنا ذلك، لوجدنا أن القرآن يفتح للناس أبواب (التدبر الذاتي) في قضية عميقة من القضايا القرآنية وليس هذا فقط، بل وإنه يدعوهم على ذلك!

٤ ـ ثم يؤكد القرآن: أن هنالك (أقفالاً معينة) تغلق قلوب البشر، وتصرفهم عن التدبر في آياته، ويقول:

((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ)).[١٠]

ولكن ما هي هذه الأقفال؟! إنها أقفال الجهل، والهوى، والتهرب من المسؤوليات الثقيلة! وكما كانت هذه الأقفال قديما، فهي موجودة حديثاً ولكن: بصورة جديدة،وأشخاص جدد وشعارات جديدة! وعلينا أن نحطم هذه الأقفال، ونفتح قلوبنا أمام نور الله المضيء عن طريق التدبر في الآيات القرآنية الكريمة.[١١]

---

(١) سورة الإخلاص، الآية: ١.
(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.
(٣) سورة النساء، الآية: ٣٦.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.
(٥) سورة ص، الآية: ٢٩.
(٦) سورة القمر، الآية: ١٧.
(٧) سورة الدخان، ألآية: ٥٨.
(٨) سورة مريم، الآية: ٩٧.
(٩) سورة النساء، الآية: ٨٢.
(١٠) سورة محمد، الآية: ٢٤.
(١١) التدبر في القرآن للسيد محمد رضا الشيرازي رحمه الله: ص٢٣ ـ ٢٩.

بعثة الأنبياء وعظم مسؤوليتهم

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:«وَ اصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِه عَهْدَ اللَّه إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِه وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِه فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِه وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ: مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ. رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ. عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ وَمَضَتِ الدُّهُورُ وَسَلَفَتِ الآبَاءُ وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ».

لقد تحدث الإمام عليه السلام في هذا المقطع من خطبته عن قضية بعث الأنبياء. وهي المرحلة التي أعقبت مرحلة خلق آدم وممارسة الحياة على الأرض، وقد تطرق الإمام عليه السلام بادئ ذي بدء إلى علة بعث الأنبياء وإرسال الرسل، ثم أشار إلى ماهية مضمون دعوات الأنبياء ورسالاتهم، إلى جانب استعراض الخطوط الرئيسية لتعاليمهم وإرشاداتهم، وأخيراً خصائص الأنبياء وصمودهم أمام الصعاب والمشاكل والأطار العام الذي كان يحكم علاقاتهم فيما بينهم وكيفية إرتباط بعضهم مع البعض الآخر. فقد استهل كلامه عليه السلام بهذا الشأن قائلاً: «واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم».

والواقع هو أنّ العبارة المذكورة إشارة للآية: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً)(سورة الأحزاب / ٧).

السبب الرئيسي لبعثتهم عليهم السلام

ثم أشار عليه السلام إلى السبب الرئيسي لبعثة الأنبياء فقال: «لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقّه واتخذوا الأنداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته».

فانعدام معرفة هؤلاء بالله سبحانه سبباً لأنّ يهووا في أودية الشرك الرهيبة ومن ثم تتلقفهم الشياطين فتصدهم عن طاعة الله وعبادته. أمّا بشأن المراد بهذه العدّة وماهية العهد الإلهي، فقد أشار أغلب المفسرين وشرّاح نهج البلاغة إلى أنّ المراد به ميثاق عالم الذر، ويمكن اعتبار ذلك إشارة إلى الفطرة التي تطرق لها الإمام عليه السلام في عباراته اللاحقة.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى فلسفة بعثة الأنبياء فقال: «فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه ليستادوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول».

فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام أشار إلى خمسة أهداف رئيسية تقف وراء بعث الأنبياء.

الهدف الأول: طلب أداء ميثاق الفطرة فقد ذكرنا أن الله سبحانه قد أودع المعارف التوحيدية فطرة الإنسان التي تقوده بصورة طبيعية. مالم تدنس وتلوث وتتعرف على الانحراف ودون نشأة صاحبها وولادته على الشرك بفعل انحداره من والدين مشركين. إلى عبادة الواحد الأحد وسوف يتطلع إلى الصالحات ويعشق الحق والعدل في ظل هذه الفطرة السليمة الموحدة، فقد جاء الأنبياء ليعيدوا الأفراد المنحرفين إلى هذه الفطرة التوحيدية المودعة لديهم.

الهدف الثاني: لتذكير الناس بنعم الله التي اعترتها الغفلة والنسيان، فالإنسان ينطوي على نعم مادية ومعنوية جمة ولو استغلها كما ينبغي فانّه سيشيد صروح سعادته وفلاحه في حين سيفقد مثل هذه السعادة إذا ما نساها وتجاهل استعمالها واستغلالها. ومثله كمثل الفلاح الذي لا يستفيد من المياه لسقي أشجار حديقته ولا يقطف ثمار أشجاره حين الحصاد. فاذا ما جاء أحدهم وذكره بهذه النعم المنسية فانه يكون قد أسدى له أعظم خدمة، وهذا ما ينهض به الأنبياء.

الهدف الثالث: اتمام الحجة على الناس من خلال الأدلة العقلية. إلى جانب المسائل الفطرية. وإرشادهم إلى الكمال في ظل التعاليم السماوية والأوامر والأحكام الشرعية.

الهدف الرابع: «يثيروا لهم دفائن العقول» ليكشفوا للناس كنوز العلوم والمعارف الكامنة في عقولهم، فقد أودع الله هذه العقول كنوزاً عظيمة قيمة لو ظهرت واستغلت لشهدت العلوم والمعارف نهضة عظيمة وجبارة، غير أن هذه الكنوز اختفت واستترت اثر هذه الغفلة والتعاليم الفاسدة والذنوب والمعاصي والتلوث الأخلاقي، ومن هنا فان إحدى وظائف الأنبياء تكمن في ازالة هذه الحجب واثارة تلك الكنوز المفعمة بالعلوم والمعارف.

الهدف الخامس: ثم أشار الإمام عليه السلام إلى الهدف الخامس في استعراض الآيات الإلهية للناس في عالم الخلقة فقال عليه السلام: «ويروهم آيات المقدرة» ثم يشير عليه

السلام إلى هذه الآيات فيقول: « **مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ وَمِهادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ وَمَعايِشَ تُحْيِيهِمْ وَآجالٍ تُفْنِيهِمْ وَأَوْصابٍ تُهْرِمُهُمْ** ».

والواقع هي أنّ هذه الأمور تمثل سلسلة من أسرار الخلقة في السماء والأرض وعوامل الحياة وأسباب الفناء والألم والعناء والتي تذكر كل واحدة منها الإنسان بالله سبحانه وتعالى إضافة إلى الحوادث والوقائع التي تدعو الإنسان إلى اليقظة والاعتبار، وعليه فان الأنبياء يحملون إلى الناس تعاليم سامية ومفاهيم نبيلة من شأن كل منها رفع المستوى العلمي والمعرفي لدى الإنسان أو ايقاظه من غفلته وجعله يتحلى بالفطنة والذكاء.

تأمّلات مهمة

١. الأنبياء بمثابة المزارعين

ما تفيده عبارة أمير المؤمنين عليه السلام أنّ القدرة الإلهية المطلقة قد أودعت الذات الإنسانية قابلية كافة أسباب الخير والصلاح والفلاح، وقد نشرت كافة البذور والرياحين العطرة ساحة قلب الإنسانية الخصبة. والأنبياء من جانبهم يقومون بري هذه البذور لتنبت أشجاراً محملة بالثمار والفاكهة فيستثيروا هذه الكنوز الكامنة في النفس البشرية «ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته... ويثيروا لهم دفائن العقول» واستناداً لهذا فان الأنبياء لا يمنحون الإنسان شيئاً خارجاً عن وجوده، بل ينمون ما لديه ويظهروا له مكنونه، حتى ذهب البعض إلى أنّ التعاليم والمفاهيم التي تلقى على الإنسان إنّما تمثل تذكيراً له، فالعلوم والمعارف قد أودعت النفس البشرية وما وظيفة المعلمين. سواء الأنبياء أو امتداداتهم. سوى إثارة هذه المعارف من خلال تعاليمهم، وكأنّ هذه المعارف مصادر مياه جوفية تشق طريقها إلى سطح الأرض بعد الحفر والتنقيب ولعل التعبير بالتذكير الذي ورد على لسان الآيات القرآنية (**لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**)و(**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**)شاهداً على صحة المعنى الذي أوردناه. والواقع أن هذا البحث متشعب وشامل لا يسعنا استيعابه في هذه العجالة.

٢. حوادث الاعتبار واليقظة

لقد تضمنت العبارة المذكورة إشارة إلى حقيقة وهي أنّ الأنبياء وإلى جانب تعليمهم الناس المعارف الإلهية الحقة وبيان آيات القدرة وعظمة خالق الوجود، فانهم يلفتون انتباه الناس إلى الحوادث ذات الدروس والعبر من قبيل حلول الأجل وانتهاء العمر وآجال النعم المادية واستعراض المحن والخطوب والوقائع الشديدة. فالعبارات الواردة في الخطبة إشارة اُخرى لفلسفة الأحداث الخطيرة التي تنطوي عليها الحياة البشرية، بحيث لولا هذه الأحداث لغطت البشرية في سبات عميق وحجاب من الغفلة يتعذر معه صحوتها وإفاقتها من سباتها.

٤. لا تخلو الأرض من حجة

لقد أكد الإمام علي عليه السلام على حقيقة اُخرى وهي عدم خلو الأرض من الحجة الإلهية الظاهرية أو الباطنية «ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل أو كتاب منزل أو حجة لازمة أو محجة قائمة» والطريف في كلام الإمام عليه السلام أنّه قرن الكتب السماوية بالأنبياء والحجج الإلهية والسيرة المعتبرة. نعم وراء كل كتاب سماوي نبي من أنبياء الله يكشف أسراره ويوضح معالمه ويبيّن أحكامه إلى جانب إجرائه وتنفيذ مفاهيمه، كما يواصل نهجه بواسطة سنته واستخلافه للوصي والإمام من بعده ليحفظ رسالته ويواصل نهجه.

وهذه من أهم عقائدنا في هذا المجال، حيث ورد عن إمامنا الصادق عليه السلام أنّه قال: «لو لم يبق في الأرض إلاّ اثنان لكان أحدهما الحجة». وهو الأمر الذي أكده أمير المؤمنين عليه السلام في قصار كلماته: «اللّهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إمّا ظاهراً مشهوراً وإمّا خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيناته».

٥. مميزات الأنبياء

إنّ الأنبياء الذين يبعثهم الله من أجل هداية الخلق ليسوا من قبيل الأفراد العاديين، بل يتصفون بجميع الخصال والمميزات اللازمة لقيامهم بوظيفتهم الرسالية الخطيرة ومنها البسالة والشجاعة الفائقة في إبلاغ الرسالة والصمود بوجه خصوم الدعوة من الأقوام الجاهلة والمعاندة والذود عن هذه الرسالة إلى حد الاستماتة والشهادة في سبيل تحقيق أهداف الرسالة. وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام في تصدي الأنبياء لخصومهم والمكذبين والمستهزئين من أعدائهم؛ الأمر الذي يشاهد بوضوح في تاريخ الأنبياء ولاسيما خاتمهم المصطفى (صلى الله عليه وآله): «رسل لا تقصر بهم قلّة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم». كما أكد القرآن الكريم على تحلي الأنبياء بصفتهم مبلغي الرسالات بهذه الصفة: (**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاّ اللهَ**).

والذي يفهم من عبارة الإمام عليه السلام .كما صرّح بذلك صاحب منهاج البراعة. أن التقية لا تجوز على الأنبياء، ومن هنا يتضح بطلان ما نسبه الفخر الرازي للشيعة الإمامية من أنّها لا تجوّز على الأنبياء حتى إظهار الكفر تقية. بل الأمر أبعد من ذلك لأنّ التقية حرام على الأئمة بل وحتى الأفراد العاديين في الحالات التي يتعرض فيها الدين للخطر، بعبارة اُخرى قد تكون التقية واجباً وقد تكون حراماً. فإذا كان تركها يؤدي إلى سفك الدماء دون حلها فهي واجبة، كأن تقع جماعة من المسلمين في يد الأعداء بحيث يراق دمهم إذا أظهروا إسلامهم، فهنا يجب عليهم إخفاء دينهم كي لا يمكنوا العدو من قتلهم، في حين قد يؤدي إخفاء الدين والإفصاح عن العقيدة أحياناً إلى ضعف المسلمين وذلتهم، ففي هذه الحالة يحرم على الأفراد كتم دينهم وعليهم أن يكشفوا عنها بكل شجاعة مهما كلف الأمر (وما واقعة كربلاء عنك ببعيد التي جسد فيها الإمام الحسين وصحبه الكرام حرمة التقية حفظاً للدين).

ولما كان كتم الأنبياء لمعتقداتهم يهدد أصل رسالتهم كانت وظيفتهم ترك التقية. جدير ذكره أنّ التقية ليست من المفاهيم التي تقتصر على الشيعة أو المسلمين فحسب، بل مفهوم من المفاهيم العقلائية الذي يدعو الإنسان إلى حفظ نفسه وعدم هدر دمه إذا لم يكن هناك من جدوى لابداء عقيدته.[1]

---

(١) بحث مستل من كتاب نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة للشيخ مكارم الشيرازي ج١ ص١٣٩ ـ ١٤٩ بتصرف بسيط.



نية المؤمن خير من عمله

قد تضمن هذا الحديث تفضيل النية على العمل، ونَقَلَ الخاصة والعامة عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: (نية المؤمن خير من عمله). وقد قيل فيه وجوه:

الوجه الأول

أن المراد بنية المؤمن اعتقاده الحق. ولا ريب أنه خير من أعماله؛ إذ ثمرته الخلود في الجنة، وعدمه يوجب الخلود في النار، بخلاف العمل، وبهذا يزول الإشكال في ما يروى من تتمة هذا الحديث من قوله صلى الله عليه و آله: ونية الكافر شرّ من عمله.

الوجه الثاني

أنّ المؤمن ينوي أن يوقع مثلاً عباداته على أحسن الوجوه، ثمّ لمّا اشتغل بها فلا يتيسّر له ذلك، ويكسل عنها، ولم يأت بها على ما ينبغي، فالذي ينوي خيرٌ من الذي يعمل.

الوجه الثالث

ان المؤمن ينوي أبدا أن يأتي بالطاعات والقربات، ويجتنب عن المعاصي والسيّئات؛ لإيمانه باللّه تعالى واليوم الآخر، ثمّ لا يوفّق لذلك، ولا يتأتّى منه ما نواه. وأيضا ينوي مثلاً إن آتاه اللّه مالاً ينفقه في سبيله، ثمّ لمّا آتاه فربّما يبخل به، فنيّته خيرٌ من عمله.

وإلى هذا المعنى أشار أبو جعفر الباقر عليه السلام حيث كان يقول: «نيّة المؤمن خيرٌ من عمله، وذلك لأنّه ينوي من الخير ما لا يدركه، ونيّة الكافر شرٌّ من عمله، وذلك لأنّ الكافر ينوي الشرّ ولا يقدر على إدراك تمام المنويّ في مقام العمل بل قد لا يستطيع من العمل بما نوى من الشرّ رأسا».

وسُئِلَ الصادق عليه السلام عن معنى

الحديث، فقال عليه السلام: «لأنّ العمل ربّما كان رياء المخلوقين، والنيّة خالصة لربّ العالمين، فيُعطي عزّ وجلّ على النيّة ما لا يُعطي على العمل».

وقال عليه السلام أيضا: «إنّ العبد لينوي من نهاره أن يصلّي نافلة الليل، فيغلبه عينه فينام، فيثبت اللّه له صلاة، ويكتب نَفَسه تسبيحا، ويجعل نومه صدقة».

الوجه الرابع

أن طبيعة النية خير من طبيعة العمل؛ لأنه لا يترتب عليها عقاب أصلاً، بل إن كانت خيرا أُثيب عليها، وإن كانت شرا كان وجودها كعدمها، بخلاف العمل؛ «**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» الزلزلة ٦**، فصح أن النية بهذا الاعتبار خير من العمل.

الوجه الخامس

أن النية من أعمال القلب، وهو أفضل من الجوارح، فعمله أفضل من عملها. ألا ترى إلى قوله تعالى: «أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِي» جعل سبحانه الصلاة وَسيلةً إلى الذِكر، والمقصود أشرف من الوسيلة، وأيضا فأعمال القلب مستورة عن الخلق لا يتطرق إليها الرياء ونحوه، بخلاف أعمال الجوارح.

الوجه السادس

أن المراد أن نية بعض الأعمال الشاقة كالحج والجهاد خير من بعض الأعمال الخفيفة، كتلاوة آية والصدقة بدرهم مثلاً.

الوجه السابع

أن لفظة «خير» ليست اسم تفضيل، بل المراد أن نية المؤمن خير من جملة أعماله، و«من» تبعيضية، ونُقل هذا عن السيّد المرتضى رضوان اللّه عليه .، وبه يندفع التنافي بين هذا الحديث وبين ما روي عنه صلى اللّه عليه و آله: أفضل الأعمال أحمزها. ويزول الإشكال المشهور في قوله عليه السلام: نية الكافر شر من عمله. فإن لفظة «شر» حينئذٍ كلفظة «خير» في عدم إرادة التفضيل.

الوجه الثامن

أن المراد بالنية تأثر القلب عند العمل، وانقياده إلى الطاعة، وإقباله على الآخرة، وانصرافه عن الدنيا، وذلك يشتد بشغل الجوارح في الطاعات، وكفِّها عن المعاصي؛ فإنّ بين الجوارح والقلب علاقةً شديدة يتأثر كل منهما بالآخر، كما إذا حصل للأعضاء آفة سرى أثرها إلى القلب فاضطرب، وإذا تألّم القلب بخوف مثلاً سرى أثره إلى الجوارح فارتعدت، والقلب هو الأمير المتبوع، والجوارح كالرعايا والأتباع، والمقصود من أعمالها حصول ثمرة للقلب، كما في وضع الجبهة على الأرض عند السجود فانه ليس الغرض منه الجمع بين الجبهة والأرض، بل من حيث إنه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب، فإن من يجد في نفسه تواضعا، فإذا استعان بأعضائه وصوّرها بصورة المتواضع تأكد بذلك تواضعه، وأما من يسجد غافلاً عن التواضع وهو مشغول القلب بأغراض الدنيا فلا يصل من وضع الجبهة على الأرض أثر إلى قلبه، بل سجوده كعدمه نظرا إلى الغرض المطلوب منه، فكانت النية روح العمل وثمرته والمقصد الأصلي من التكليف به، فكانت أفضل.

الوجه التاسع

أن النية ليست مجرد قولك عند الصلاة أو الصوم أو التدريس: أُصلّي أو أصوم أو أُدرّس قربةً إلى اللّه، ملاحظا معاني هذه الألفاظ بخاطرك ومتصوّرا لها بقلبك هيهات! إنما هذا تحرك لسان وحديث نفس، وإنما النية المعتبرة انبعاث النفس وميلها وتوجّهها إلى ما فيه غرضها ومطلبها إما عاجلاً أو آجلاً، وهذا الانبعاث والميل إذا لم يكن حاصلاً لها لا يمكنها اختراعه واكتسابه بمجرد النطق بتلك الألفاظ وتصوّر تلك المعاني، فإن النفس إنما تنبعث إلى الفعل وتقصده وتميل إليه تحصيلاً للغرض الملائم لها بحسب ما يغلب عليها من الصفات.

فإذا غلب على قلب المدرّس مثلاً حب الشهوات وإظهار الفضيلة وإقبال الطلبة عليه وانقيادهم إليه، فلا يتمكن من التدريس بنية التقرب إلى اللّه سبحانه بنشر العلم وإرشاد الجاهلين، بل لا يكون تدريسه إلا لتحصيل تلك المقاصد الواهية والأغراض الفاسدة وإن قال بلسانه: «أُدرّس قربة إلى اللّه» وتصوّر ذلك بقلبه وأثبته في ضميره، ومادام لم يقلع تلك الصفات الذميمة من قلبه لا عبرة بنيته أصلاً.

وكذا إذا كان قلبك عند نية الصلاة منهمكا في أُمور الدنيا والتهالك عليها والانبعاث في طلبها، فلا يتيسر لك توجيهه بكلّيته إلى الصلاة وتحصيل الميل الصادق إليها والإقبال الحقيقي عليها، بل يكون دخولك فيها دخول متكلّف بها متبرّم بها.

والحاصل أنه لا تحصل لك النية الكاملة المعتد بها في العبادات من دون ذلك الميل والإقبال، وقمع ما يضاده من الصوارف والأشغال، وهو لا يتيسر إلّا إذا صرفت قلبك عن الأمور الدنيوية، وطهّرت نفسك عن الأمور الذميمة، وقطعت نظرك عن حظوظك العاجلة بالكلية.

ومن هنا يظهر أن النية أشق من العمل بكثير فتكون أفضل منه، ويتبين لك أن قوله صلى اللّه عليه و آله: أفضل الأعمال أحمزها، غير منافٍ لقوله صلى اللّه عليه و آله: نية المؤمن خير من عمله، بل هو كالمؤكِّد والمقرِّر له، واللّه ولي التوفيق.



قد عرفنا أن الخاطر المحمود المستحسن شرعاً وعقلاً هو ضد الوسوسة، لأن القلب إذا كان مشغولاً بشيء لا يمكن أن يشغله شيء آخر، فإذا كان مشغولاً بشيء من الخواطر المحمودة لا سبيل للخواطر المذمومة إليه، وربما كان للغفلة التي هي ضد النية تقابل لكل من الوسوسة والخاطر المحمود، إذ عند الغفلة لا يتحقق شيء منهما، إلا أن خلو القلب عن كل نية وخاطر بحيث يكون ساذجاً في غاية الندرة، على أن الظاهر أن مرادهم من الغفلة خلو الذهن من القصد الباعث وإن كان مشغولاً بالوساوس الباطلة، كما يأتي تحقيقه.

ثم الخاطر المحمود إن كان قصداً ونية لفعل جميل معين كان متعلقاً بالقوة التي يتعلق هذا الفعل بها، وإلا كان راجعاً إما إلى الذكر القلبي أو إلى التدبر في العلوم والمعارف والتفكر في عجائب صنع الله وغرائب عظمته، أو إلى التدبر الإجمالي الكلي فيما يقرب العبد إلى الله سبحانه أو ما يبعده عنه تعالى، وليس وراء ذلك خاطر محمود يتعلق بالدين أو غير ذلك من الخواطر المذمومة المتعلقة بالدنيا.

فاعلم: إنه من معالجات مرض الوسواس معرفة شرافة ضده الذي هو الخاطر المحمود، ليبعثه على المواظبة عليه الموجبة لدفع الوساوس، وفضيلة الخواطر المحمود، الباعثة على الأفعال الجميلة يأتي ذكرها في باب النية وربما يعلم من بيان فضيلة نفس هذه الأفعال أيضاً كما يأتي ذكرها في باب النية، وفضيلة الذكر القلبي يعلم في باب مطلق الذكر.

التفكر: هو سير الباطن من المبادئ إلى المقاصد.

والمبادئ: هي آيات الآفاق والأنفس.

والمقصد: هو الوصول إلى معرفة موجدها ومبدعها والعلم بقدرته القاهرة وعظمته الباهرة.

ولا يمكن لأحد أن يترقى من حضيض النقصان إلى أوج الكمال إلا بهذا السير.

وهو مفتاح الأسرار ومشكاة الأنوار، ومنشأ الاعتبار ومبدأ الاستبصار، وشبكة المعارف الحقيقية ومصيدة الحقائق اليقينية، وهو أجنحة النفس للطيران إلى وكرها القدسي، ومطية الروح للمسافرة إلى وطنها الأصلي، وبه تنكشف ظلمة الجهل وأستاره وتتجلى أنوار العلم وأسراره، ولذا ورد عليه الحث والمدح في الآيات والأخبار كقوله سبحانه:

((أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ)).[1]

وقوله تعالى:

((أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ)).(٢)

وقوله تعالى:

((هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ)).(٣)

وقوله تعالى:

((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)).(٤)

وقوله تعالى:

((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ)).(٥)

وقوله تعالى:

((وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)).(٦)

وقوله تعالى:

((الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)).(٧)

وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«التفكر حياة قلب البصير».

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«فكرة ساعة خير من عبادة سنة».

ولا ينال منزلة التفكر إلا من خصّه الله عزّ وجل بنور التوحيد والمعرفة، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وفي قدرته».

ومراده من التفكر في الله التفكر في قدرته وصنعه وفي عجائب أفعاله ومخلوقاته وغرائب آثاره ومبدعاته، لا التفكر في ذاته، لكونه ممنوعاً عنه في الأخبار، ومعللاً بأنه يورث الحيرة والدهشة واضطراب العقل، وقد ورد:

«إياكم والتفكر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه».

واشتهر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله، فإنكم لن تقدروا قدره».

ويقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«التفكر يدعو إلى البر والعمل به».

وفي قوله عليه السلام:

«نبِّه بالتفكر قلبك، وجاف عن الليل جنبك، واتق الله ربك».

وقال محمد بن علي الباقر عليهما السلام:

«بإجالة الفكر يستدر الرأي المعشب».

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«الفكر مرآة الحسنات وكفّارة السيئات، وضياء للقلوب وفسحة للخلق، وإصابة في صلاح المعاد، وإطلاع على العواقب، واستزادة في العلم، وهي خصلة لا يعبد الله بمثلها».

وقال الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام:

«ليس العبادة كثرة في الصلاة والصوم، إنما العبادة التفكر في أمر الله عزّ وجل».

إذن النتيجة أن التفكر يكون في المخلوقات، وليس في ذات الله.

فالموجودات بأسرها مجاري التفكر ومطارح النظر، إذ كل ما في الوجود سوى واجب الوجود فهو من رشحات وجوده وآثار فيض وجوده، وكل موجود ومخلوق من جوهر أو عرض مجرد أو مادي، فلكي أو عنصري، بسيط أو مركب، فعل الله وصنعه، وما من ذرة من ذرّات العالم إلا وفيها ضروب من عجائب حكمته وغرائب عظمته، بحيث لو تشمّر عقلاء الأقطار وحكماء الأمصار مدى الأعصار لاستنباطها، انقضت أعمارهم دون الوقوف على عشر عشيرها وقليل من كثيرها.

ثم إن الموجودات المخلوقة منقسمة إلى ما لا يعرف أصله فلا يمكننا التفكر فيه، وإلى ما يعرف أصله ومجمله من دون معرفة تفاصيله فيمكننا التفكر في تفصيله لتزداد لنا معرفة وبصيرة بخالقه.

وهو إلى ما لا يدرك بحس البصر ويسمى بـ(الملكوت)، كالملائكة والجن والشياطين وعوالم العقول والنفوس المجرّدة، ولها أجناس وطبقات لا يحيط بها إلا موجدها، وإلى ما يدرك به، وله أجناس ثلاثة:

عالم السماوات المشاهدة بكواكبها ونجومها ودورانها في طلوعها وغروبها.

وعالم الأرض المحسوسة ببحارها وجبالها ووهادها وتلالها ومعادنها وأنهارها ونباتها وأشجارها وحيوانها وجمادها، وعالم الجو المدرك بسحبه وغيومه وأمطاره وثلوجه وشهبه وبروقه ورياحه ورعوده، وكل من هذه الأجناس الثلاثة ينقسم إلى أنواع، ويتشعب كل نوع إلى أقسام وأصناف غير متناهية، مختلفة في الصفات والهيئات، واللوازم والآثار والخواص، والمعاني الظاهرة والباطنة، وليس شيء منها إلا وموجده هو الله سبحانه، وفي وجوده وحركته وسكونه حكم ومصالح لا تُحصى.

وكل ذلك مجاري التفكر والتدبر لتحصيل المعرفة والبصيرة بخالقها الحكيم وموجدها القيوم العليم، إذ كلها شواهد عدل وبينات صدق على وحدانيته وحكمته وكمال كبريائه وعظمته، فمن قدم، قدم حقيقته، ودار عالم الوجود وفتح عين بصيرته، وشاهد مملكة ربه الودود، لظهر له في كل ذرة من ذرّات الخلق عجائب حكمة وغرائب قدرة، بهر منها عقله ووهمه، وحسر دونها لبّه وفهمه(٨)

---

(١) سورة الروم، الآية: ٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.
(٣) سورة الحشر، الآية: ٢.
(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.
(٦) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٠ ـ ٢١.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.
(٨) جامع السعادات: ج١، ص١٢١ ـ ١٢٣.

القرآن والإمامة

القرآن هذا الكتاب السماوي، خير مرشد وهاد في كل أمر، وفي الإمامة أيضاً، فهو يبحثها من مختلف الجوانب، ومنها:

القرآن يرى الإمامة اختياراً إلهياً

سبق أن قرأنا حكاية النبي إبراهيم عليه السلام محطم الأصنام في البحوث السابقة وعرفنا أن القرآن يعتبر أن مقام الإمامة والقيادة لا ينالها إبراهيم عليه السلام إلاّ بعد نيله مرتبة النبوة والرسالة وأداء إمتحانات كبرى، ففي الآية ١٢٤ من سورة البقرة يقول:

((وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ..))[1].

هنالك قرائن قرآنية وتاريخية مختلفة تؤكد أنه نال مرتبة الإمامة بعد أن حارب عبدة الأصنام في بابل، وبعد هجرته إلى الشام، وبنائه الكعبة، وأخذ ابنه إسماعيل ليذبحه قرباناً لله.

فإذا كانت النبوة والرسالة من جانب الله، فمن الأولى أن يكون تعيين مقام الإمامة ـ الذي يعتبر أعلى مراحل التكامل في قيادة الأمة ـ من جانب الله أيضاً فهو ليس من الأمور التي يمكن أن يوكل تنفيذها إلى الناس، ولذلك فإن الله يقول مخاطباً إبراهيم:

((إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)).

كذلك يقول القرآن في الآية ٧٣ من سورة الأنبياء وهو يتحدث عن جمع من الأنبياء العظام: إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب:

((وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ...))[2].

وفي القرآن آيات أخرى شبيهة بهذه تدل كلها على أن هذا المنصب إلهي وإن الله هو الذي يعين من يشاء لهذا المقام.

كما أننا في الآية نفسها التي ينال فيها إبراهيم مقام الإمامة، نقرأ أن إبراهيم طلب هذا المنصب لذريته، ولكن جواب الله كان:

((...قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ)).

أي إن طلبك قد أجيب إلا فيما يخص الظالمين من ذريتك، فإنهم لن يصلوا إلى هذا المقام الرفيع.

فإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن تعبير (ظالم) في اللغة عموماً وفي لغة القرآن يشمل مساحة واسعة من المعاني، بما فيها الذنوب كالشرك الظاهر والخفي وكل ظلم للنفس وللآخرين، وإذا أخذنا أيضاً بنظر الاعتبار أن معرفة هذه الحالات معرفة تامة لا تتأتى لأحد سوى الله، لأنه هو وحده العالم ببواطن الناس ونياتهم، يتبين لنا جلياً أن تعيين الإمام لمقام الإمامة لا يكون إلاّ بأمر من الله.

التبليغ

نقرأ في الآية ٦٧ من سورة المائدة ما يلي:

((يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ))[3].

تدل لهجة هذه الآية على أن الكلام يدور على مهمة خطيرة موضوعة على عاتق رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنها مهمة تثير ما يقلق البال، وقد تواجه معارضة بعض الناس، ولذلك تطمئن الآية خاطر الرسول بقولها:

((...وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ...)).

مع التوكيد على ضرورة أداء المهمة.

لا شـكّ أن هـذه المسـألة المهمـة لم تكن تتعلـق بقضايـا التوحيد والشـرك ومحاربة الأعـداء من اليهـود والمنافقـين وغير ذلك، لأن هـذه المسـائل كانـت كلها قـد حلت قبل نزول هذه الآية من سورة المائدة.

ثم إن إبلاغ أحكام الإسلام للناس لم يكن يومـاً مصحوبـاً بمثل هذا القلـق والتوجس، بينمـا يتبـين مـن الآية أن المهمـة كانت على قـدر مـن الأهميـة بحيث أنهـا لا تقـل وزنـاً عـن أداء الرسـالة برمتها، بحيـث لو أنه لم يـؤد تلـك المهمة لـكان كأنه لم يؤد الرسـالة نفسها.

فهل هناك ما يمكن أن تكون له مثل هذه الأهمية سـوى مسـألة تعيين خليفة رسـول الله؟ خاصـة وأن الآيـة قد نزلـت في أواخر عمـر النـبي، أي في الوقت المناسـب لتعيين مـن يخلف النبي من بعـده، للاطمئنان على استمرار النبوة والرسالة.

ثم إن هناك روايات كثيرة عن فرق كبير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم، منهـم (زيد بـن أرقم) و(أبو سـعيد الخدري) و(ابن عباس) و(جابر بن عبد الله الأنصاري) و(أبـو هريرة) و(حذيفة) و(ابن مسـعود)، وبعـض هذه الروايـات قد وصل إلينـا عن أحد عشـر طريقاً، نقلها كثير من علماء أهل السـنة من المفسـرين والمحدثين والمؤرخـين، وكلها تقول أن هـذه الآية نزلت في حق علي عليه السلام يوم الغدير.

وأن هذه الآية تكشـف عن أن النبي كان قـد أمره الله، أثناء عودته من حجة الوداع، أي آخـر حجـة لـه في عمـره، أن يعلـن عن تنصيب علي عليه السلام خليفة له من بعده بصورة رسمية وعلى ملأ من المسلمين.

آية إطاعة أولي الأمر

في الآية ٥٩ من سورة النساء نقرأ:
(﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ...﴾).(٤)

هنـا نلاحـظ أن إطاعة أولـي الأمر قد جاءت إلى جانب إطاعة الله ورسـوله بدون أي قيـد أو شـرط، فهـل المقصـود من أولي الأمـر هـم الحـكام في كل عصـر وفي كل محيـط؟ فمثلاً هـل على المسلمين في هذا العصـر وفي مختلـف البلـدان أن يطيعـوا حكامهـم بدون قيـد ولا شـرط؟ (كما يقول بعض مفسري أهل السنة).

إن هذا التفسير لا ينسجم مع أي منطق، إذ إن أكثـر الحكام في مختلف العصور كانوا حكامـاً منحرفـين، ملوثـين بالاثـم ويتبعون الظلم والظالمين.

فهـل المقصـود إذن إطاعـة الحاكم على شـرط أن لا يكـون حكمهم مخالفـاً لأحكام الإسـلام؟ هـذا أيضـاً لا يأتلف مـع إطلاق الآية.

فهل المقصود هم صحابة الرسـول صلى الله عليه وآله وسـلم؟ هـذا المفهوم أيضاً لا يتلاءم مع المفهوم العام الواسع الذي تنطوي عليه الآية والخاص بمختلف العصور.

بنـاءً علـى ذلـك يتبـين لنـا بوضـوح أن المقصود هو القائـد المعصوم الموجود في كل عصـر وزمان، فهو الذي تجب إطاعته بدون قيـد ولا شـرط، وأمره كأمر الله ورسـوله، واجب التنفيذ.

إن الأحاديـث الكثـيرة الواصلـة إلينـا من مصـادر إسـلامية متعددة بهذا الشـأن والتي تفسر (أولي الأمر) بالإمام علي عليه السـلام والأئمة المعصومين، دليل آخر يؤيد هذا الادعاء.

آية الولاية

نقرأ في الآية ٥٥ من سورة المائدة:
(﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾).(٥)

باسـتعمال (إنما) الدالـة على الحصر، يحصـر القـرآن ولايـة المسـلمين ورعايتهم بثلاثـة: الله، والرسـول، والذيـن آمنـوا ويعطون الزكاة أثناء ركوعهم.

لا شـك أولاً أن (الولايـة) هنـا لا تعنـي المحبة بين المسـلمين، لأن تبـادل المحبة بين عامـة المسـلمين لا يسـتوجب هـذه القيـود والشـروط، فالمسلمون أخـوة يحب بعضهم بعضـاً، وإن لم يدفعوا الـزكاة أثناء الركوع، وبنـاءً على ذلك، فالولايـة هنا تعني القيادة والإمامة المادية والمعنوية، خاصة إنها جاءت في مصاف (ولاية الله) و(ولاية الرسول).

كما أنه من الواضح أيضاً أن هذه الآية، بالأوصـاف التـي وردت فيهـا، تشـير إلى شـخص معين بذاتـه، وهو الـذي كان راكعاً عندمـا أعطى الـزكاة، وإلاّ فليس هناك ما يدعـو الإنسـان إلى أن يعطـي زكاته عندما يصلـي وعنـد الركوع من صلاتـه، وهذا في الواقع علاقة، وليس صفة عامة.

مجمـوع هذه القرائن يـدل على أن هذه الآية إشـارة عميقة المعنـى إلى حكاية علي ابن أبي طالب عليه السـلام، وهي أنه فيما كان راكعـاً في صلاتـه سمـع فقـيراً يطلـب الصدقة من المصلين، إلاّ أن أحداً لم يسعفه بشيء فمد الأصبع الصغير من يده اليمنى، أثنـاء ركوعه، إلى ذلك الفقير مشـيراً إليه أن يأخذ خاتماً ثميناً كان يلبسه في إصبعه، فأخـذه الفقير وانصرف، وكان رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد لحظ ما جرى بجانب عينه.

وعنـد انتهـاء الصـلاة رفـع رأسـه إلى السماء وقال:

«اللهم إن أخي موسى سألك فقال:
(﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾).(٦)

فأنزلت عليه قرآنا ناطقاً:
(﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا﴾).(٧)

اللهـم وأنا محمـد نبيك وصفيّـك اللهم فاشـرح لي صدري ويسّـر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري...».

لم يكد رسـول الله صلـى الله عليه وآله وسـلم ينتهـي من دعائه حتى نـزل جبرائيل بالآية المذكورة.

وإنه مما يلفت النظر أن كثيرين من كبار مفسـري أهل السـنة ومحدثيهم ومؤرخيهم يؤيـدون كـون الآية قـد نزلـت في علي عليه السلام.

وهناك جماعة من أصحاب رسـول الله صلـى الله عليـه وآله وسـلم في نحو عشـرة اشـخاص نقلوا هذا الحديث عن رسول الله مباشرة.(٨)

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٢) سورة السجدة، الآية: ٢٤.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٧.
(٤) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٥.
(٦) سورة طه، الآيات: ٢٥ ـ ٣٢.
(٧) سورة القصص، الآية: ٣٥.
(٨) سلسلة أصول الدين لناصر مكارم الشيرازي: ص٤٥ ـ ٥١.

الميرزا محمد حسين النائيني الإصبهاني



هو محمّد حسين ابن شيخ الإسلام ميرزا عبد الرحيم النائيني الاصبهاني، ثمّ النجفي، فقيه أصولي نبيه، دقيق النظر، عالي الفهم، وسيع الفكر، حسن القريحة، مستقيم السليقة، سريع الانتقال، جيّد الإنشاء، حسن الخط والإملاء، حاضر الجواب.

نشأته

ولد الميرزا محمد حسين بن عبد الرحيم النائيني الأصفهاني في (نائين) إحدى نواحي يزد في حدود عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٧م، ونشأ بها، ثم هاجر إلى أصفهان، وتتلمذ على الإمام الميرزا محمد حسن الشيرازي في مدينة سامراء عام ١٣٠٣هـ، وبعد وفاته غادرها إلى مدينة كربلاء، وفي عام ١٣١٤هـ، هاجر إلى مدينة النجف الأشرف، وتتلمذ على علمائها وفقهائها، فأصبح عالما مدققا محققا، وأصوليا فقيها.

تتلمذ سماحته على يد العلامة آية الله العظمى السيد محمد الأصفهاني (قدس) الذي عاصر المرجع الميرزا الشيرازي (قدس) مدرسا كبيرا في سامراء المقدسة بل كانت رئاسة التدريس له دون غيره.

والعلامة النائيني قدس سره من كبار العلماء والمشاهير وأعاظم الفقهاء الإمامية في الأقطار الإسلامية، حاز المرجعية العليا الدينية بعد وفاة آية الله العظمى الأصفهاني (قدس سره)، حضر بحثه جمع من الفضلاء الفخام بالجملة، حيث عرف عنه كثرة التحقيق والتدقيق وهو ذو خط مليح وتحرير فصيح.

ومن أبرز تلاميذ الشيخ النائيني هم: (السيد محمد حسن الشيرازي، السيد محسن الحكيم، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، الشيخ محمد علي الكاظمي الخراساني، الشيخ موسى الخونساري النجفي، السيد محمد الحسني البغدادي، الشيخ حسين الحلي، السيد جمال الكلبايكاني، السيد محمد الأصفهاني، السيد إسماعيل الصدر.

أقوال العلماء في حقه

ويقول السيد الأمين: كان عالما جليلا، فقيها أصوليا حكيما، عارفا أديبا متتبعا للأدب الفارسي، عابدا مدرسا مقلدا، رأيناه في النجف أيام إقامتنا من سنة ١٣٠٨ - ١٣١٩هـ، ولمكانته العلمية الكبيرة لقب بشيخ الإسلام، وقد كان والده في مدينة أصفهان يلقب بهذا اللقب.

ويقول السيد الكاظمي: أنه كان يحضر بحثه ما يقارب الألف، ويصلي خلفه في الصحن الشريف جمهور كبير من أهل العلم والكسبة.

ويقول الشيخ محمد رضا المظفر: (إنه شيخنا وأستاذنا العظيم، ويعد فاتحا مظفرا ومجددا موصلا أنقطع أو كاد من المنهج البحثي للشيخ الأنصاري، وهو وتلاميذه يعتزون بهذه الصلة والوصلة العلمية بالشيخ الأنصاري.

حياته السياسية

لقد كان الشيخ النائيني من أقطاب حركة المشروطة في النجف الأشرف وألف في دعمها كتابه المعروف (تنبيه الأمة وتنزيه الملة)، وبعد ثورة العشرين وتأسيس الحكومة الملكية في العراق تعرض لمضايقات الحكومة بعد إبعاد العلامة الشيخ مهدي الخالصي عن العراق، وقد أحدث إبعاده ضجة في الأوساط العلمية والاجتماعية في النجف، فما كان من الحكومة إلا إبعاد الشيخ النائيني والسيد الموسوي الأصفهاني عن العراق أيضا.

وفي عام ١٩٢٤ تقدم العلماء ووجهاء مدينة النجف إلى الملك فيصل الأول عند زيارته للنجف بالرجاء لإعادة العلماء المبعدين إلى العراق، وقد استجاب الملك فيصل لهذا النداء، ومن الجدير بالذكر أن الشيخ النائيني و السيد الأصفهاني قد استقرا بمدينة قم عند إبعادهما من العراق وقد احتفى بهما العلامة الشيخ عبد الكريم الحائري، وقد أشارت بعض المصادر إلى أن الشيخ النائيني قد ابتعد عن القضايا السياسية، ولكن هذا لم يمنعه من إعطاء رأيه في بعض الممارسات الاجتماعية والشعائر الدينية.

كما أن لديه سجالا مع الشيخ فضل الله النوري رحمه الله: (الشيخ فضل الله النوري: هو من كبار العلماء المجتهدين تخرج على يد السيد الشيرازي قدس سره وقد صلبته الفرقة المعروفة بالمشروطة في عام ١٣٢٧ هـ)، الذي يكتسب حتى هذه اللحظة أهمية كبيرة.

علما أن الشيخ النائيني كان ينطلق من فقه العبادات وفقه المعاملات أي انه ينطلق بالكامل من داخل علم الكلام والفقه الإسلامي، حيث يدعو صراحة إلى ضرورة تبني نظم الحكم التي تشتمل على الدساتير والمجالس النيابية وفصل السلطات وتقييد سلطات الحكم وإيجاد ما يدعمها في القرآن والسنة وسيرة آل البيت.

ويعتقد الشيخ النائيني أن (الاستبداد الديني والاستبداد السياسي توأمان يتوقف احدهما على الأخر ويرى انه من السهل القضاء على الاستبداد السياسي بينما يصعب القضاء على الاستبداد الديني).

مرجعية الأمة

وقد أتجه إلى الشيخ الميرزا النائيني التقليد بعد وفاة العلمين الكبيرين: الشيخ محمد تقي الشيرازي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، وبعد وفاة الميرزا النائيني أنحصر التقليد في السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني.

ففي عام ١٩٢٦م أصدر فتوى بناء على رسالة وردته من مدينة البصرة، وذلك بجواز خروج مواكب العزاء في يوم عاشوراء، مع وجوب تنزيه الشعائر من الغناء واستخدام آلات اللهو، واجتناب التدافع والتزاحم، وجواز اللطم بالأيدي على الخدود والصدور والضرب بالسلاسل على الأكتاف إلى حد الاحمرار والاسوداد إلى خروج الدم يسير، وجواز اتخاذ التشبيهات و التمثيلات التي جرت عليها العادة عند الشيعة الإمامية في حين أقامتها العزاء مع البكاء منذ قرون، وجواز ارتداء الرجال لباس النساء لمدة من الزمن أثناء التمثيل، وجواز اتخاذ الدمام، وهو الضرب على الطبل الكبير في المواكب المذكورة لإقامة العزاء إن لم يقصد منه اللهو والسرور، وكانت هذه الشعائر أو بعضها موضع اجتهاد العلماء ومراجع الدين.

السيرة العلمية

كتب الشيخ محمد حسين النائيني كتبا علمية في الفقه والأصول كان لها في المدرسة النجفية موقع كبير وقد تناولها الكثير بالبحث والدراسة وهي:

أجوبة مسائل المستفتين وقد جمعها بعض تلاميذه، أجود التقريرات وقد جمعها تلميذه الإمام السيد أبو القاسم الخوئي في مجلدين، تقريران في أصول الفقه، تعليقة (حاشية) على العروة الوثقى، الإرشاد لمن طلب الرشاد

في جزءين، تعليقة على كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري، تنزيه الأمة وتنزيه الملة وورد بلفظ (تنبيه الأمة)، وقد قرظه الآخوند الخراساني، والشيخ عبد الله المازندراني، وقد نشر الكتاب في مجلة العرفان من قبل الأستاذ صالح الجعفري تحت عنوان (الاستبدادية والديمقراطية) وقد ترجمه الأستاذ الجعفري إلى اللغة العربية عام ١٩٥٩م، وأشارت بعض المصادر إلى أن الشيخ النائيني لما تقلد المرجعية العليا أمر بشراء نسخ المجلة والكتاب حتى بلغ سعر النسخة الواحدة خمس ليرات ذهبية، ومن المحتمل أن في هذا القول مبالغة فهو قد أمر بجمع الكتاب وإتلافه كما يقول الشيخ محمد حرز الدين، وقد أشارت جريدة (الهاتف) إلى القول: (أن النائيني ألف في الدستور كتابا ثمينا يعجز عن تأليفه أكبر الحقوقيين ضمنه نظام حكومة إسلامية ودستورية نيابية استنبطه من القرآن الشريف والسنة النبوية)، حاشية نجاة العباد، حواشي على العروة الوثقى، دستور الدولة لتقليل الظلم على أفراد الأمة وترقية المجتمع، ذخيرة الصالحين، رسالة في التعبدي والتوصلي، رسالة في مسائل الحج ومناسكه، رسالتان لعمل مقلديه، رسالة في اللباس المشكوك بغير المأكول، فرغ منه عام ١٣١٥هـ، وقد كتبها على مذاق أستاذه العلاّمة الشيرازي وله بعض الرسائل الفتوائية وبعض الحواشي الفتوائية، رسالة في الخيارات والمعاطاة وبيع الفضول، رسالة في الترتيب، رسالة في الواجب التعبدي والتوصلي، رسالة في الشرط المتأخر، رسالة في أحكام الخلل في الصلاة، رسالة في نفي الضرر، سؤال وجواب، فهرس الحواشي على العروة الوثقى، مناسك الحج، وسيلة النجاة في الفقه، رسالة عملية، وهو من أجلّ علماء العصر الحاضر في الشيعة ومرجعهم ومقتداهم.

وفاته

توفي الإمام الشيخ محمد حسين النائيني في مدينة النجف الأشرف في ١٥ جمادى الثانية عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، ودفن في الصحن الشريف، في الحجرة الثانية، وقد أقيمت مجالس الفاتحة وقد حضرها رئيس الوزراء ياسين الهاشمي، ووزير إيران المفوض ممثلا عن شاه إيران، وأقيمت حفلة تأبين كبرى في الجامع الهندي، يوم الجمعة الثامن من رجب ١٣٥٥هـ، الموافق ٢٥ أيلول ١٩٣٦م.

المهدي عليه السلام وشفاؤه للميرزا النائيني

قيل أن الشيخ النائيني ظهر وجع في قدمه وكان له أخ من الأب اسمه محمد سعيد حال انشغاله في تحصيل العلوم الدينية في سنة خمس وثمانين ومائتين وألف تقريبا وقد ورم خلف قدمه بحيث أعوج وعجز عن المشي فجاءوا وبميرزا أحمد الطيب ابن الحاج ميرزا عبد الوهاب النائيني ليعالجه فزال الاعوجاج الذي هو خلف قدمه وذهب الورم وتفرقت المادة ولم تمض عدة أيام إلا وظهرت المادة بين الركبة والساق وبعد عدة أيام ظهرت المادة في الفخذ في نفس تلك الرجل ومادة بين الكتف حتى تقيح كل واحد منهما وكان له وجع شديد فعندما يعالجه ينفجر فيخرج منه قيح إلى أن مضت سنة تقريباً أو أكثر من ذلك وهو على هذا الحال يعالج هذه القروح بأنواع العلاج ولم يلتئم واحد منها بل كل يوم تزداد الجراحات ولم يقدر في هذه المدة أن يضع قدمه على الأرض وهو يتقلب من جانب إلى جانب وقد أصابه الضعف من طول مدة المرض ولم يبق منه إلا الجلد والعظم من كثرة ما خرج منه من الدم والقيح وقد صعب ذلك على الوالد وما يستعمل نوعا من العلاج إلا وتزداد الجروح ويضعف حاله ولا يؤثر في زيادة قوته وصحته.

وظهر في تلك الأيام وباء شديد في نائين فلجأنا إلى قرية من قراها خوفاً من ذلك الوباء فاطلعنا على جراح حاذق يقال له (آقا يوسف) ينزل في قرية قريبة من قريتنا فبعث الوالد شخصاً إليه فحضر للعلاج وعندما عرض أخي المريض عليه سكت ساعة حتى خرج الوالد من عنده وبقيت عنده مع أحد أخوالي يدعى الحاج ميرزا عبد الوهاب فبعد مدة من مناجاته معه فهمت من فحوى تلك الكلمات بأنه يخبره يائساً ويخفي ذلك عني لئلا أخبر الوالد فيضطرب ويجزع.

فعندما رجع الوالد قال ذلك الجراح: أنا آخذ المبلغ الفلاني أولاً ثم أبدأ بالمعالجة وكان قصده من هذا الكلام هو امتناع الوالد عن دفع ذلك المبلغ قبل الابتداء في المعالجة ليكون سببا لذهابه قبل الشروع في المعالجة.

فامتنع الوالد من إعطائه ما أراه قبل المعالجة فاغتنم (الجراح) تلك الفرصة ورجع إلى قريته.

وقد علم الوالد والوالدة أن هذا التصرف من الجراح كان ليأسه وعجزه عن المعالجة مع أنه كان أستاذا وحاذقاً فيئست منه، وكان لي خال آخر يدعى ميرزا أبو طالب في غاية التقوى والصلاح وله شهرة في البلد بأنه يكتب للناس رقع الاستغاثة إلى إمام العصر، الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف وهي سريعة الإجابة والتأثير وإن الناس كثيراً ما يرجعون إليه في الشدائد والبلايا فالتمست منه والدتي أن يكتب رقعة استغاثة لشفاء ولدها.

فكتبها في يوم الجمعة وأخذتها الوالدة وأخذت وهذبت عند بئر قرب قريتنا أخي تلك الرقعة في البئر وكان متعلقاً فوق البئر بيد الوالدة فظهرت له وللوالدة في ذلك الوقت رقة فبكيا بكاءً شديداً وكان ذلك في آخر ساعة من يوم الجمعة.

وبعد مضي عدة أيام رأيت في المنام ثلاثة فرسان بالهيئة والشمائل التي وردت في واقعة إسماعيل الهرقلي قادمين من الصحراء باتجاه بيتنا فحضرت في ذهني في ذلك الحال واقعة إسماعيل وكنت قد وقفت عليها في تلك الأيام وكانت تفصيلاتها في ذهني فانتبهت أن هذا الفارس المتقدم هو الإمام عليه السلام جاء لشفاء أخي المريض وكان أخي المريض نائماً على ظهره أو متكئا في فراشه في ساحة البيت كما كان كذلك في أغلب الأيام فقرب الإمام الحجة عليه السلام وبيده المباركة رمح ووضع ذلك الرمح في موضع من بدنه ولعله كان في كتفه وقال له قم فقد جاء خالك من السفر.

وقد فهمت في ذلك الوقت أن مقصود عليه السلام من هذا الكلام البشارة بقدوم خال لنا آخر اسمه الحاج ميرزا علي أكبر كان سافر للتجارة وطال سفره ونحن قد خفنا عليه لطول السفر وتقلب الدهر من القحط والغلاء الشديد.

وعندما وضع عليه السلام على كتفه وقال ذلك الكلام قام أخي من مكانه الذي كان نائماً فيه وأسرع إلى باب البيت لاستقبال خاله المذكور.

فاستيقظت من نومي فرأيت الفجر قد طلع وقد أضاء الجو ولم يستيقظ أحد من النوم لصلاة الصبح فقمت من مكاني وأسرعت إلى أخي قبل أن ألبس ملابسي وأيقظته من النوم وقلت له: انهض فإن الإمام الحجة عليه السلام قد شافاك.

وأخذت بيده وأقمته على رجليه فاستيقظت أمي من النوم وصاحت علي: لماذا أيقظته من النوم؟ لأنه كان يقظاً من غلبة الوجع عليه، وقليل من النوم في ذلك الحال كان يعد غنيمة قلت: إن الإمام الحجة عليه السلام قد شافاه.

فعندما أقمته على قدميه ابتدأ بالمشي في ساحة الغرفة وقد كان في تلك الليلة غير قادر على وضع قدمه على الأرض حيث انقضت له على ذلك مدة سنة أو أكثر وكان يحمل من مكان إلى مكان.

فانتشرت هذه الحكاية في تلك القرية واجتمع جميع الأقرباء والأصدقاء ليروه بما لا يصدق بالعقل ونقلت الرؤيا وكنت فرحاً جداً لأني بادرت ببشارة الشفاء عندما كان نائماً وقد انقطع الدم والقيح من ذلك اليوم والتأمت الجروح قبل أن ينقضي أسبوع وبعد عدة أيام من ذلك وصل الخال سالماً غانماً.[1]

---

(١) مرآة الشرق للشيخ محمد أمين الخوئي: ج١، ص٦٦٠ ـ ٦٦١.

معجزة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعناد أبي جهل

البحار بالاسناد إلى أبي محمد العسكري عليه السلام أنه قال: (قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: هل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم آية مثل آية موسى عليه السلام في رفعه الجبل فوق رؤوس الممتنعين عن قبول ما أمر به فقال عليه السلام: إي والذي بعثه بالحق نبيا ما من آية كانت لأحد من الأنبياء من لدن آدم إلى أن انتهى إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا وقد كان لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم مثلها أو أفضل منها ـ إلى أن قال ـ:

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي جهل: يا أبا جهل هذه الفرقة الثالثة، قد شاهدت آيات الله ومعجزات رسول الله وبقي للذي لك، فأي آية تريد؟ قال أبو جهل: آية عيسى بن مريم عليه السلام كما زعمت أنه كان يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم فأخبرني بما أكلت اليوم، وما ادخرته في بيتي، وزدني على ذلك إن تحدثني بما صنعته بعد أكلي لما أكلت، كما زعمت أن الله قد زادك في المرتبة فوق.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما ما أكلت وما ادخرت فاخبرك به، وأخبرك بما فعلته في خلال أكلك، وما فعلته بعد أكلك وهذا يوم يفضحك الله فيه لاقتراحك، فإن آمنت بالله لم تضرك هذه الفضيحة، وإن أصررت على كفرك أضيف لك إلى فضيحة الدنيا وخزيها خزي الآخرة الذي لا يبيد ولا ينفد ولا يتناهى.

قال وما هو؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قعدت يا أبا جهل لتناول دجاجة سمينة استطبتها، فلما وضعت يدك عليها استأذن عليك أخوك ـ أبو البختري ابن هشام ـ فاشفقت عليه أن يأكل منها وبخلت فوضعتها تحت ذيلك، وأرخيت عليها ذيلك حتى انصرف عنك.

فقال أبو جهل: كذبت يا محمد ما من هذا قليل ولا كثير، ولا أكلت من دجاجة ولا ادخرت منها شيئاً، فما الذي فعلته بعد أكلي الذي زعمت.

قال رسول الله: كان عندك ثلاثمائة دينار لك، وعشرة آلاف دينار ودائع الناس عندك، المائة، والمائتان، والخمسمائة، والسبعمائة، والألف، ونحو ذلك إلى تمام عشرة آلاف، مال كل واحد في صرة، وكنت قد عزمت على أن تختانهم، وقد كنت جحدتهم ومنعتهم، واليوم لما أكلت من هذه الدجاجة أكلت زورها وادخرت الباقي، ودفنت هذا المال اجمع مسرورا فرحا باختيانك عباد الله، وواثقا بأنه قد حصل لك، وتدبير الله في ذلك خلاف تدبيرك.

فقال أبو جهل: وهذا أيضا يا محمد فما أصبت منه قليلاً ولا كثيرا وما دفنت شيئاً، وقد سرقت تلك العشرة آلاف والودائع التي كانت عندي.

فقال رسول الله: يا أبا جهل ما هذا من تلقائي فتكذبني، وإنما هذا جبرئيل الروح الأمين يخبرني به عن رب العالمين، ثم قال رسول الله: هلم يا جبرئيل بالدجاجة التي أكل منها.

فإذا الدجاجة بين يدي رسول الله فقال: أتعرفها يا أبا جهل؟ فقال أبو جهل: ما أعرفها وما أخبرت عن شيء.

فقال رسول الله: يا أيتها الدجاجة إن أبا جهل قد كذب محمدا على جبرئيل، وكذب جبرئيل على رب العالمين، فاشهدي لمحمد بالتصديق وعلى أبي جهل بالتكذيب.

فنطقت وقالت: أشهد يا محمد أنك رسول الله وسيد الخلق أجمعين، وأنّ أبا جهل هذا عدو الله المعاند الجاحد للحق الذي يعلمه، أكل مني هذا الجانب، وادخر الباقي، فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين، فإنه مع كفره بخيل، أستأذن عليه أخوه، فوضعني تحت ذيله اشفاقا من أن يصيب مني أخوه، فأنت يا رسول الله أصدق الصادقين من الخلق أجمعين، وأبو جهل الكاذب المفتري اللعين.

فقال رسول الله: أما كفاك ما شاهدت؟! آمن لتكون آمنا من عذاب الله عز وجل، قال أبو جهل: إني لأظن أن هذا تخييل وإيهام، فقال رسول الله: فهل تفرق بين مشاهدتك لهذا وسماعك لكلامها، وبين مشاهدتك لنفسك ولسائر قريش والعرب وسماعك لكلامهم؟ قال أبو جهل: لا، قال رسول الله: فما يدريك أن جميع ما تشاهد وتحس بحواسك تخييل؟

ثم وضع رسول الله يده على الموضع المأكول من الدجاجة فمسح يده عليها فعاد اللحم عليه أوفر ما كان، ثم قال رسول الله: أيا أبا جهل أرأيت هذه الآية؟ قال: يا محمد توهمت شيئاً ولا أوقنه.

قال رسول الله: يا جبرئيل فاتنا بالأموال التي دفنها هذا المعاند للحق، لعله يؤمن، فإذا هو بالصرر بين يديه كلها ما كان رسول الله قاله إلى تمام عشرة آلاف وثلاثمائة دينار، فأخذ رسول الله (وأبو جهل ينظر إليه) صرة منها، فقال: ائتوني بفلان بن فلان، فأتى به، وهو صاحبها، ودعا بآخر ثم بآخر حتى رد العشرة آلاف كلها على أربابها، وفضح عندهم أبو جهل. وبقيت ثلاثمائة دينار فقال الآن آمن لتأخذ الثلاثمائة دينار، ويبارك الله لك فيها حتى تصير أمير قريش.

قال: لا آمن، ولكن آخذها فهي مالي، فلما ذهب يأخذها، صاح رسول الله بالدجاجة: دونك أبا جهل، وكفيه عن الدنانير، وخذيه، فوثبت الدجاجة على أبي جهل فتناولته بمخالبها، ورفعته في الهواء وطارت به إلى سطح بيته فوضعته عليه.

ودفع رسول الله تلك الدنانير إلى بعض فقراء المؤمنين.

ثم نظر رسول الله إلى أصحابه فقال لهم: معاشر أصحاب محمد هذه آية أظهرها ربنا عز وجل لأبي جهل، فعاند، وهذا الطير الذي حي يصير من طيور الجنة الطيارة عليكم فيها، فإن فيها طيوراً كالبخاتي عليها من جميع أنواع الوشي ويطير بين سماء الجنة وأرضها، فإذا تمنى مؤمن محب للنبي وآله الأكل من شيء منها وقع ذلك بعينه بين يديه، فتناثر ريشه وانسمط وانشوى وانطبخ، فأكل من جانب منه قديداً ومن جانب منه مشوياً بلا نار، فإذا قضى شهوته ونهمته وقال: الحمد لله رب العالمين، عادت كما كانت، فطارت في الهواء وفخرت على سائر طيور الجنة، تقول: من مثلي وقد أكل مني ولي الله من أمر الله.[1]

---

(١) الفضائل والمعاجز للسيد محمد جعفر المروج: ص٤٧ ـ ٥٣.

على مائدة الصحيفة السجادية

الحلقة العاشرة

الدعاء الأول

(...، **يَتَخَطَّأُ إِلَيْهِ بِأَيّامِ عُمْرِهِ، وَيَرْهَقُهُ بِأَعْوَامِ دَهْرِهِ،....**).

(يتخطأ إليه) إمَّا من الخطوة بمعنى ما بين القدمين، قلبت واوه همزة؛ أو من الخطأ – بالهمزة – بمعنى الاستعجال ومجاوزة الحد، لعدم خلوّ السرعة والعجلة عن الخطأ والغلط والتعدّي والتشطّط، وعلى كلّ من التقديرين فيه تضمينٌ للآخر؛ أي: يذهب إليه من غير تعمّد وقصد، أو مستعجلاً متّخذاً من أيّام عمره خطوات.

و(الأيام) جمع يوم، أصله: أيوم.

و(العمر) – بالضمّ وضمّتين وبالفتح ـ: الحياة.

و(الرهق) ـ محرّكةً ـ: العجلة، وفي القاموس: (رهق ـ كفرح ـ: غشيه ولحقه، أو دنا منه، سواءٌ أخذه أو لم يأخذه).

و(الأعوام): جمع عامٍ ـ كسبب وأسباب ـ ومعناه الحول.

و(الدهر): الزمان – قلّ أو كثر ـ، قال الزهري: (الدهر عند العرب يُطلق على الزمان وعلى فصل من فصول السنة وأقلّ من ذلك)، ويقع على مدّة الدنيا كلّها، وقد يراد به الزمان الطويل ومدّة الحياة الدنيا؛ ويجمع على الدهور.

وفي الحديث: لا تسب, الدهر فإنّ الدهر هو الله، أي: فإنّ جالب الحوادث ومنزّلها هو الله لا غير.

وقيل: إنّ كلّ شخص تجاوز إلى غاية عمره بأيّام حياته ويقرب منه بأعوام دهره، كأنّ كلّ يوم خطوةٌ وكلّ عام مرحلة يقطعها إلى أن يبلغ منتهاه، ولا يخفى ما في هذه الفقرات من أنواع الاستعارات، حيث شبّه العمر بالمسافة، الموت بما ينصب منا لعلامات في منتهاها لبيان آخرها، والأيام بالأقدام التي قطع بها أجزاء تلك المسافة، والسنين بالرواحل؛ وما أسرع قطع هذه المسافة.(١)

وقيل: يتخطأ: منا لخطوة وهو المشي لكن وقع في أكثر النسخ بالهمزة.

فقوله: (يتخطأ) بالهمزة على ما وقع ي أكثر النسخ من باب همزهم ما ليس بمهموز.

وأما جعله من الخطأ الذي هو نقيض الصواب فخطأ محض.

(ورهقته) قربت منه، وقال الفارابي: رهقته: أدركته.

وفي التهذيب: العام: حول يأتي على شتوة وصيفة.

وعلى هذا فالعام أخص من السنة، وليس كل سنة عاما، فإذا عددت من يوم إلى مثله فهو سنة، وقد يكون فيه نصف الصيف ونصف الشتاء، والعام لا يكون إلاّ صيفاً وشتاءً متواليين.(٢)

وقيل: (يتخطأ إليه) أي: إلى ذلك الأجل (بأيام عمره)، كأنّ كلّ يوم خطوة تقرّب الشخص إلى أجله، والعمر بضمّ الميم وسكونها، هكذا شأن هذا اللفظ إذا وقع في هذا الكتاب وكتاب الله الحميد المجيد.

(ويرهقه)؛ أي: ويبلغه سريعاً.

(بأعوام دهره)؛ يعني: يبلغ إلى الأجل بسبب أعوام دهره، كأنّ كلّ عام منزل يقرّب كلاًّ من عابري السبيل من ذوي الحياة على أجله المسمى.(٣)

وقيل: (يتخطى إليه بأيام عمره) بالهمزة، إما من الخطوة، وهي ما بين القدمين، قلبت الألف همزة هنا على غير قياس، ولعل فائدته كما قيل، التنبيه على تضمين معنى الخطا، والمعنى يتخطأ إليه بأيام عمره متخطياً، أي من غير تعمد وقصد، وإما من الخطاء بالهمزة بمعنى الاستعجال ومجاوزة الحد، لعدم خلو السرعة عن الخطاء والغلط، ويؤيد هذا عدم احتياج الفعل إلى تضمين معنى الذهاب والاستعجال ونحوهما، أو جعل الظرف حالاً، أي منتهياً إليه كما يحتاج إليهما على الأول، لأنه بذلك المعنى متعد بنفسه، كما يؤيد الأول ما وجد في بعض النسخ القديمة من عدم الهمزة، ولا يخفى ما في هذه الفقرة وفيما اكتنفها من أنواع الاستعارات اللطيفة.

(ويرهقه) أي يدنو إليه بسرعة.(٤)

وقيل: كما يتخطى الإنسان في المسافة حتى يبلغ النهاية، فكأن أيام العمر خطى الإنسان نحو آخر مدته، فإذا انتهت أيام عمره كان واصلاً إلى آخر مدته في الحياة فيموت.(٥)

وقيل: قد شبه العمر بالمشي، والأيام بالخُطى إلى الموت، وفي نهج البلاغة: (من كانت مطيته الليل، والنهار، فإنه يسار به، وإن كان واقفا، ويقطع المسافة، وإن كان مقيما وادعا) أي ساكنا مستريحا، (ويرهقه بأعوام دهره) أي أنّ الأمد المحدد يعجل بالحي، ويسرع به إلى الموت بطي السنوات، ومضي الأعوام، وكل ذلك بمشيئة الله تعالى، فهو الذي يحيي، ويميت في أجل مسمى، لا يقدّم ولا يؤخر.(٦)

يتخطأ: من الخطو الدنو وهو المشي، وجاء في أكثر النسخ بالهمز، والضمير في (إليه) راجع إلى الأمد، حيث يجعل الله على الإنسان حفظة يحفظونه إلى حين أجله الذي يدنو منه ويقترب مع تعاقب الليل والنهار، قال تعالى:

(﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾).(٧)

رهقت الشيء رهقا: قربت منه وأدركته، ومن معاني المرهق الكريم الجواد، والضمير في (ويرهقه) راجع إلى الأمد، ذلك أن كل شخص يدنو ويقترب إلى موعد مغادرته الدنيا بما يقطع مستهلكا من أيام وسنوات ما كتب الله له فيها.(٨)

كما قال الشاعر الشيخ عبد المنعم الفرطوسي:

تتخطّى له بأيام عُمر
خببا عند سيرها للفناء(٩)

---

(١) لوامع الأنوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية للسيد محمد باقر الموسوي: ج١، ص٣٧٤ ـ ٣٧٨.

(٢) رياض السالكين للسيد علي خان المدني: ج١، ص٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٣) رياض العارفين لمحمد بن محمد دارابي: الروضة الأولى، ص٢٥ ـ ٢٦.

(٤) نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية للسيد نعمة الله الجزائري: ص٣١.

(٥) شرح الصحيفة السجادية للإمام السيد محمد الشيرازي: ص١٧.

(٦) في ظلال الصحيفة السجادية شرح الشيخ محمد جواد مغنية: ص٥١.

(٧) سورة يونس، الآية: ٤٩.

(٨) بحوث في الصحيفة السجادية للشيخ صالح الطائي: ص٩.

(٩) الصحيفة السجادية بنظم الشاعر عبد المنعم الفرطوسي: ص٢٠.



الحجاب زينة المرأة

إنّ من الأمور التي قد تواجه المحجّبة أن تكون في محيط إجتماعي ـ أو في مدرسة.. أو جامعة أو بلد يسود كل ذلك السفور، وتكون وحيدة تزهو بنورها الإيماني في وسط الأحجار المعتمة.. فتبدأ سهام الحرب النفسية من أجل تحطيم شخصيتها فمرّة تسمّى بالمرأة الشاذة المعتمة بالسواد، وتارة المتحجّرة المنغلقة.. وأخرى أنّها قبيحة المنظر ولذلك تخفي معايبها.. و.. و.. وهكذا تدوم حالة الاحتقار والسخرية والاستهزاء وتصبح الفتاة آنذاك حديث الساعة، فماذا يكون موقف المسلمة أزاء هذه الظروف..؟

هل الاستسلام والتسليم للحالة الواقعة؟ أم هل الاستجابة لضغوطهم ضمن محيطهم والعودة إلى الحجاب في غيابهم..؟ كلاّ.. وإنما الحلّ يكمن في الإصرار على الموقف مهما بلغت قسوة الظروف وإذا كانت الفتاة مؤمنة فذلك ما يزيد في إيمانها وثباتها وليس العكس.

بيد أنّ الملتزمة تنظر إلى هذه الأمور وتراها اعتيادية طبيعية.. والاستهزاء والسخرية هي سنّة مألوفة لمن أراد أن يلتزم بالدين ويدعو إلى قيمه.. ولنقرأ تأريخ الأنبياء الزاخر الذي سطّر لنا أروع الأمثلة التي تصنع الداعية على تجاوز المحن والبلاء.

وحينما تقرأ الفتاة تاريخ الأنبياء عليهم السلام سوف يهون عليها البلاء الذي منه تعاني، وما من رسول بعثه الله لقوم ما إلاّ وكان غرضاً لسهام السخرية والاستهزاء فهذا نبيّ الله نوح عليه السلام الذي لبث في قومه ٩٥٠ سنة يدعوهم إلى الله فالرّد المقابل أن يؤمن به أناس قلائل لا يتجاوز عددهم الأنامل قال الله عزّ وجل:

((قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا))(١).

وما نقل التاريخ أن نبيّ الله نوحاً عليه السلام كان يمرّ على قومه وهم يضحكون ويسخرون ويصفونه بالجنون.. وكانت الآباء تأخذ أبناءها ويحذرونهم من إتباعه أو الإصغاء إلى كلامه، وحينما صنع نوح السفينة في الصحراء كانوا يسخرون من فعله قال تعالى:

((وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ))(٢).

وحينما نتصفّح تاريخ رسول الإنسانية ومنقذ البشرية محمّد صلى الله عليه وآله وسلم كيف بدأ يدعو الناس ويبصرهم بالطريق القويم ولكن النتيجة.. أن تُدمى قدماه.. وكم عانى في نشر دعوته من كفّار قريش وكم كابد الشدّة مع جهّال قومه حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما أوذي نبيّ مثلما أوذيت».

ويقول عزّ وجل:

((...قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ))(٣).

ويقول تعالى:

((...وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ))(٤).

وقال تعالى:

((...فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ))(٥).

((وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ))(٦).

وعودة ثانية في تاريخ البلاء والمحن وذلك ما لاقته المرأة المؤمنة زوجة الطاغية فرعون وهي آسية بنت مزاحم ـ كيف احتفظت بإيمانها وثباتها رغم ما كابدت من الآلام والتعذيب والتنكيل على يد فرعون حتّى همّ بإحراقها حيث يذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه:

((...رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ))(٧).

الحجاب تحضر لا تحجر

ولا ندري ما هو سرّ التحضّر في التبرّج وفي الانفتاح والتطوّر، أفتكون المخالطة في التقدّم، وفي الحجاب الانغلاق والتحجّر؟ هكذا نمت هذه الأفكار في وسط أمّتنا.. حيث طالب المنفتحون المرأة ودعوها إلى نزع الحجاب ولم يدعوا إلى حريّة الفكر والإبداع.. أو إبداء الرأي.. أو صنع القرار... وإنّما حريّة الاختلاط... والتحدّث والاندماج مع الرجال سواءً في العمل.. أو في الجامعة كي يتمكن أولئك المنفتحون من النظر إلى مفاتن المرأة حينما يسلبونها الحشمة، فيتمّ الاختلاط والانسجام وتنمو أواصر العلاقة، ومن ثم يتمكن أولئك من النيل من هذه أو تلك ثم يولي أحدهم هارباً عنها، وتبقى فتاة التطور والتقدّم حائرة خائرة ماذا تصنع جرّاء ما حدث؟

ولم يكتف أصحاب دعوة التحرر من الحجاب يدعون المرأة على نبذ حجابها في محيط العمل أو الدراسة بل في حفلات الأعراس حيث يراد منها أن تكون متزينة ومتعطرة لتنال إعجاب الحاضرين، فهذه عناوين التقدم التي تدعو لها حضارة الشيطان لا الإنسان فحضارة الإنسان تهدف إلى كرامته وعزّته وصونه.

وهذا ما يدعو إليه الحجاب.. وذلك أن الإسلام لم يكن حجر عثرة أو عقبة في طريق أحد يريد السعادة والسموّ بل طالب الإنسان أن يعيش حرّاً عزيزاً مهما تكالبت الظروف عليه فلقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«لا تكن عبداً لغيرك وقد خلقك الله حرّاً».

ونظرة الدين لحريّة المرأة تختلف اختلافاً جذرياً وجوهرياً عمّا تراه سائر المذاهب الوضعية.. فللمرأة الحق بأن تمارس أي دور في المجتمع في الدراسة والتعليم... في العمل والكدّ ولكن ضمن أطر محدودة لحفظ العفّة وصون الجسد، أمّا أن تختلط وتمازح وتصافح فهذا ما نهى عنه الدين الحنيف وفي الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من صافح امرأة تحرم عليه فقد باء بسخط من الله، ومن التزم امرأة تحرم عليه فقد باء بسخط الله، ومن التزم امرأة حراماً قرن في سلسلة من نار مع الشيطان فيقذفان في النار».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«من فاكه (من مازح) امرأة لا يملكها حبسه الله بكل كلمة في النار ألف عام».

وحينما يدلي الإسلام بتحريم المخالطة والمصافحة والمفاكهة والعلاقات اللامشروعة، فذلك لما تدعو إليه هذه العناوين إلى الفساد والإفساد، وحريّ بنا في هذا الصدد أن نقرأ شيئاً من الأحاديث الشريفة التي تذمّ حالة السفور والمجون بكافة أنواعه وفنونه.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«سيأتي في آخر الزمان رجال من أمّتي نساؤهم كاسيات عاريات.. على رؤوسهنّ كأسنمة البخت العجاف.. ألا فالعنوهنّ... فإنّهنّ ملعونات ولا يجدن ريح الجنّة».

وقال الإمام علي عليه السلام:

«يظهر في آخر الزمان وعند اقتراب الساعة وهو شرّ الأزمنة نساء كاشفات عاريات متبرّجات من الدين خارجات وفي الفتنة داخلات ومائلات إلى الشهوات، مسرعات إلى اللّذات مستحلات للمحرّمات.. في جهنّم خالدات».

قال الإمام علي عليه السلام:

«دخلت أنا وفاطمة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوجدناه يبكي بكاءً فقلت فداك أبي وأمّي ما الذي أبكاك؟

فقال: يا عليّ ليلة أسري بي إلى السماء رأيت نساء أمّتي في عذاب شديد فأنكرت شأنهنّ.. وبكيت لما رأيت من شدّة عذابهنّ، ثم بدأ صلى الله عليه وآله وسلم يحدّث مشاهداته ليلة المعراج فكان يقول:

(رأيت امرأة معلّقة بشعرها يغلي دماغ رأسها.

ورأيت امرأة معلّقة بلسانها والحميم يصبّ في حلقها.

ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها النار والنار توقد من تحتها.

ورأيت امرأة قد شدّت رجلاها في يديها وقد سلّطت عليها الحيّات.. والعقارب.

ورأيت امرأة صمّاء عمياء خرساء في تابوت من نار يخرج دماغ رأسها من منخرها وبدنها مقطّع من الجذام والبرص.

ورأيت امرأة يقرض لحمها بالمقاريض.

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السلام: (يا بنيّة:

أما المعلّقة بشعرها فإنّها كانت لا تغطّي شعرها عن الرجال.

وأمّا المعلّقة بلسانها فإنّها كانت تؤذي زوجها.

وأمّا التي تأكل لحم جسدها النار فإنّها كانت تزيّن بدنها للناس.

وأمّا التي شدّت يداها إلى رجليها وسلّطت عليها الحيّات والعقارب فإنّها كانت قذرة الوضوء وقذرة الثياب وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض ولا تتنظف وكانت تستهين في الصلاة.

وأمّا العمياء الصمّاء الخرساء فإنّها كانت تلد من الزنا وتعلق في عنق زوجها.

وأمّا التي يقرض لحمها بالمقاريض فإنّها كانت تعرض نفسها على الرجال».[٨]

والإسلام وإن كان يشدد على حفظ المرأة وصونها وذلك لكونها النواة التي تدور من حولها الأسرة وهي المدرسة التي تنشئ الأجيال فإن صلحت صلح من نشأ في حجرها وإن فسدت فسد من نشأ عندها وهذا المعنى السامي والحقيقة الاجتماعية والنفسية والأخلاقية دلّ عليها سيد الشهداء عليه السلام حين قال يوم عاشوراء: (ألا وأن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله وحجور طابت وطهرت)

وإلا فالرجل مطالب بالعفة كما المرأة مطالبة بذلك ولقد فرض الله تعالى على الرجل والمرأة من أحكام في المعاشرة ما يصون عفتهما على حد سواء، قال تعالى: ((قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)).[٩]

(١) سورة نوح، الآيات: ٥ و ٦ و ٧.
(٢) سورة هود، الآية: ٣٨.
(٣) سورة يونس، الآية: ٢.
(٤) سورة ص، الآية: ٤.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٠.
(٦) سورة الصافات، الآية: ١٤.
(٧) سورة التحريم، الآية: ١١.
(٨) الحجاب إيمان وقناعة لجعفر اليوسف (بتصرف): ص٤٥ ـ ٥٦.
(٩) سورة النور، الآية: ٣٠.



هذا من فضل ربي وبركة الإمام الرضا عليه السلام

مع بدء شهر رمضان المبارك سنة (١٤١٦هـ) أخذت أفكرّ في من أهدي إليه ثواب ختم القرآن الكريم في هذا الشهر الكريم، فكان الإمام الرضا عليه السلام قد حضر في بالي، ومَن أولى به ونحن مدينون لعظيم إحسانه، وما نقدّمه له ـ على فرض قبول الله تعالى ـ لا يفي أقل القليل من كثير ما قدّمه هذا الإمام الرؤوف، وما دام هو (الرضا) فهو يرضى من أحبائه على قدر استطاعتهم بلا شك، أليس هو الجواد ابن الجواد أبو الجواد؟

هذا مع العلم أن شهر رمضان ربيع القرآن، وثواب تلاوة آية واحدة فيه يعادل ثواب ختم للقرآن الكريم كله في غير هذا الشهر ـ كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآلهِ وسلم ـ، فكيف بثواب ختم واحد، فضلاً عن الحسابات السماوية التي اليوم الواحد فيها عند الله كألف سنة عندنا فهي خاصة بالله الغني.

وهكذا بدأت أتلو بانتظام حتى ليلة الخامس من الشهر، إذ رنّ جرس التلفون، مكالمة خارجية تحمل نبأ ينعى إليّ ارتحال الحاج عبد النبي أحد أقاربي إلى رحمة الله تعالى، حيث كان في سجود صلاة العشاء وهو لم يكن يفطر من صومه.

فانشغلت بالدعوة إلى فاتحة وقراءة حسينية ومأدبة إفطارية في منزلي، وقد أخذ هذا الأمر مني وقتاً وجهداً مضاعفاً مما جعلني أتخلف عن الالتزام بالتلاوة في كل ليلة، وكنت أذهب إلى الحرم وأجلس قرب الضريح جهة الرأس الشريف للتفرّغ والتدبّر في التلاوة إلا أنني وجدت الأيام والليالي تسبقني، واقتربت ليلة الثامن عشر من الشهر (ذكرى وفاة والدي سنة ١٤٠٠هـ) فكان عليّ التحضير للدعوة إلى مجلس آخر وترتيبٍ مأدبة إفطارية كالعادة السنوية عندنا ثواباً إلى روح الوالد.

ثم حلّتّ ليالي ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام وليالي القدر، فانشغلت بهذه المناسبات، وكلما كنت أنظر إلى الليالي تتقدم وألقي نظرة إلى ما وصلتّ إليه في التلاوة فيقلقني بون المسافة، أبدأ بالضغط على نفسي لاستدراك ما فاتني حتى جعلتُ قسطاً من التلاوة في النهار ولكني بسبب الضعف الذي عادة يصاب به الصائم توقفت عن التلاوة في الليل ولكن الركب مختلف، ماذا أصنع وأنا متعهّد أن لا ينقضي عليّ شهر رمضان حتى أنهي ختماً واحداً وهو أبسط ما أتمكن إهداءه إلى الإمام الرضا عليه السلام.

وفوق هذا كله جاءت إصابتي بالزكام ليزيد في الطين بلّة، فأخذت أردّد مع نفسي فكرة الاعتذار إلى الإمام عليه السلام، وكدتُ أذهب إلى الحرم عصر يوم الخامس والعشرين وألقي إليه عذري بأني لا أستطيع ختمِ القرآن إلى قبل نهاية شهر رمضان مبرّراً لنفسي الآية:

((لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)).[1]

ولكني قبل الذهاب إلى الحرم طرقت باب منزل العالم الورع آية الله الحاج الشيخ حسن علي مرواريد، وكنت أحضر عنده أياماً في الأسبوع لارتوي من نبعه المعارفي الزلال بعض رشحات الهدى، وذلك اليوم ومن دون أن افصح لسماحة الشيخ عن حالي وقراري ذكر لي قصة أثناء الدرس نفخ بها روح العزيمة في نفسي.

قال الشيخ: كان بيني وبين العلامة الأميني (صاحب الغدير رحمه الله) عهداً على أن أنيبه أنا في الزيارة هنا عند مرقد الإمام الرضا عليه السلام كلما ذهبت للزيارة، وينيبني هو في النجف الأشرف كلما دخل حرم الإمام علي عليه السلام للزيارة وبعد سنوات سافرتُ إلى النجف فدخلت عليه مكتبته (مكتبة أمير المؤمنين)، فأول ما بادرني إليه الشيخ الأميني قوله: إني لم أنس الزيارة بالنيابة عنك، قلت له: وأنا كذلك أنيبك في زيارة الإمام الرضا عليه السلام في مشهد المقدسة.

وبعد سنوات أخرى جاء العلامة الأميني إلى مشهد ليصوم شهر رمضان الكريم في جوار حرم الإمام الرضا عليه السلام، فكان من بعد الإفطار إلى أذان الصبح يقضي وقته عند الضريح الشريف بالصلاة تلو الصلاة.

سألته: ما هذه الصلاة التي تصلّيها طول الليل؟

فقال: لما قرّرت السفر إلى مشهد قلت مع نفسي ما الهدية المناسبة التي تجدر بي أن أقدمها إلى الإمام الرضا عليه السلام، أليست العادة أن المسافر يحمل (هدية) إلى حبيبه؟!

فخطر على بالي أن خير هدية أن أهدي إليه ألف ركعة صلاة في كل ليلة (يعني خمسمائة صلاة ذات ركعتين)، أصليها في جواره.

وهكذا أنهى العلامة الأميني في الليلة الأخيرة من الشهر المبارك ثلاثين ألف ركعة كاملة.

حينما سمعت هذه القصة، خجلت مع نفسي وأنا الشاب الذي يريد إهداء ختم واحد من القرآن الكريم للإمام عليه السلام، وهو ليس بأمر صعب قياساً بما قام به العلامة الأميني (مع كِبَر سنه)! وراودني بالإضافة إلى خجلي العجب من نقل الشيخ مرواريد لهذه القصة لي في صميم الفرصة المناسبة، ولما أخبرته بالقضية ابتسم!

وهنالك لم أقرّر التراجع عن الاعتذار إلى الإمام الرضا عليه السلام فحسب بل ذهبت ولأربع ليالٍ متتالية إلى الحرم الرضوي أتلو الأجزاءً الباقية عند الضريح الشريف باندفاع وانشداد قويين، فختمت القرآن ليلة ختام شهر الصيام دون تعاجز، وكان هذا من فضل ربي وبركة الإمام الرضا عليه السلام وهداية الأستاذ آية الله مرواريد (أطال الله عمره الشريف).

من هنا فعلى الإنسان أن لا يزيّن عجزه بتبريرات هشّة.[2]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) قصص وخواطر للشيخ البحراني/ ص٢٢٤ ـ ٢٢٦، برقم ١٧٠.



تقنية نانو
Nano Technology

تقنية النانو (Nano technology) أو تقنية الصغائر هي العلم الذي يهتم بدراسة معالجة المادة على المقياس الذري والجزيئي وتطبيق علمي يتولى إنتاج الأشياء عبر تجميعها على المستوى الصغير من مكوناتها الأساسية.

تهتم تقنية النانو بابتكار تقنيات ووسائل جديدة تقاس أبعادها بالنانومتر وهو جزء من الألف من الميكرومتر أي جزء من المليون من المليمتر وهي أبعاد أقل كثيرا من أبعاد البكتيريا والخلية الحية.

علوم النانو وتقنية النانو إحدى مجالات علوم المواد واتصالات هذه العلوم مع الفيزياء، الهندسة الميكانيكية والهندسة الحيوية والهندسة الكيميائية تشكل تفرعات واختصاصات فرعية متعددة ضمن هذه العلوم وجميعها يتعلق ببحث خواص المادة على هذا المستوى الصغير.

حتى الآن لا تختص هذه التقنية بعلم الأحياء بل تهتم بخواص المواد، وتتنوع مجالاتها بشكل واسع من أشباه الموصلات إلى طرق حديثة تماما معتمدة على التجميع الذاتي الجزيئي، هذا التحديد بالقياس يقابله اتساع في طبيعة المواد المستخدمة، مثل هذه الظواهر النانوية يمكن أن تتضمن تقييداً كمياً التي تؤدي إلى ظواهر كهرومغناطيسية وبصرية جديدة للمادة التي يبلغ حجمها بين حجم الجزيء وحجم المادة الصلبة المرئي، فإننا نستطيع أن نستبدل ذرة عنصر ونرصف بدلها ذرة لعنصر آخر، وهكذا نستطيع صنع شيء جديد ومن أي شيء تقريبا، وأحيانا تفاجئنا تلك المواد بخصائص جديدة لم نكن نعرفها من قبل، مما يفتح مجالات جديدة لاستخدامها وتسخيرها لفائدة الإنسان، على سبيل المثال في مجال الصحة يكون لدى الأطباء القدرة على السيطرة على بعض الأورام الصغيرة التي لا يمكن التأثير فيها في السابق.

تقنية النانو تبشرنا بقفزة هائلة في جميع فروع العلوم والهندسة، وبكل بساطة ستمكننا من صنع أي شيء نتخيله وبأقل كلفة ممكنة، فلنتخيل أسطولا من روبوتات النانو الطبية والتي يمكن لنا حقنها في الدم أو ابتلاعها لتعالج الجلطات الدموية والأورام والأمراض المستعصية.

اما صعوبة تقنية النانو في مدى إمكانية السيطرة على الذرات بعد تجزئة المواد المتكونة منها، فهي تحتاج بالتالي إلى أجهزة دقيقة جدا من جهة حجمها ومقاييسها وطرق رؤية الجزيئات تحت الفحص، كما أن صعوبة التوصل إلى قياس دقيق عند الوصول إلى مستوى الذرة يعد صعوبة أخرى تواجه هذا العلم الجديد الناشئ، بالإضافة إلى ذلك، لا يزال هناك جدل ومخاوف من تأثيرات تقنية النانو، وضرورة ضبطها.

صدر عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة الكتاب الموسوم بـ(ومضات السبط) لسماحة الشيخ علي الفتلاوي.

يتناول هذا الكتاب بيان البعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام التي خطبها في حياته أو عند خروجه الى العراق، وجاء هذا الإهتمام للوقوف على البعد العقائدي والأخلاقي التي تحتويها هذه الخطب وتسليط الضوء على الجانب العلمي في شخصية الإمام الحسين عليه السلام لاسيما بعد أن غطت مصيبة كربلاء وهيمن الجانب المأساوي والعاطفي على الجانب العالمي من شخصية الإمام - عليه السلام - ونحن نعلم أن الإمام عليه السلام هو مصباح الهدى الذي يستنير به أهل العلم وطلاب المعرفة.

